

البحث الببالغي عند العرب

تأليف
د. أحمد مطلوب



books4arab.com



المؤلف في سطور
الدكتور احمد مطلوب

● ولد في تكريت يوم الاحد ٢٥ تشرين الاول
١٩٣٦.

● اكمل الابتدائية والمتوسطة في تكريت والثانوية
في كربلاء وبغداد.

● تخرج في كلية الآداب ببغداد سنة ١٩٥٦
بدرجة امتياز خاصة.

● اكمل الماجستير في كلية الاداب بجامعة القاهرة
سنة ١٩٦١ والدكتوراه برتبة الشرف الاولى سنة
١٩٦٣م.

● تقلد عدة مناصب وهو الان استاذ البلاغة
والنقد في كلية الآداب بجامعة بغداد.

● درس وحاضر في جامعات عربية واجنبية.

● أصدر اربعة عشر كتابا في البلاغة والنقد
والتعريب.

● أصدر اربعة عشر كتابا تراثياً في البلاغة
والشعر واللغة.

● آخر كتبه معجم البلاغة العربية في ثلاثة
مجلدات.

● شارك في وضع سبعة كتب مدرسية في النحو
والبلاغة والنصوص.

الموسوعة الصغيرة

(١١٦)

البحث البلاغي عند العرب

تأليف د . أحمد مطلوب

منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد

الجمهورية العراقية

١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذه أوراق توجز نشأة البلاغة العربية ، وتحدد أهدافها ، وترسم مناهجها ، وقد أريد لها أن تظهر في وقت أعرض الناشئة فيه عن تراث الأمة وأصول لغتها المعطاء .

والبلاغة من العلوم العربية التي لم تنضج ولم تحترق - كما يقول القدماء - فباب الاجتهاد فيها قائم ، وسبيل الرجوع اليها متصل ما دامت العربية خالدة ، وما دام أسلوبها زاد المنشئين . وقد نشأت لتصون التراث وتضع المعالم في الطريق ، وكانت قضية الاعجاز أهم ما شغل به الدارسون ، وكانت القدرة البيانية أنبل ما سعى اليه الشعراء والكتاب حين ازدهر الأدب وبنى العرب حضارتهم التي عمت الافاق . ولو قدر للبلاغة أن يستمر عطاؤها لكان لها شأن غير ما وصلت اليه في الفترة الحالكة التي مر بها العرب بعد عام ٦٥٦ للهجرة .

والحديث عن البلاغة طويل ، والبحث في مناهجها
يطول ، ولكن هذه الاوراق تضع المعالم وتدفع الباحثين
الى اقامة ما لم يخطه السلف او ظنوا ان فيه الفنى
في عهدهم ، وما هو بالمفنى في هذا العصر الذي تطورت
فيه اللغة العربية واستحدثت فنون لم يكن لها ظل في
كتب المتقدمين .

ان هذه الاوراق تقف عند اهم قضايا البحث
البلاغي عند العرب ، وهي قضايا تتضح في النشأة
والاهداف والمؤثرات والاتجاهات والمناهج ، وان لم
يتم التفصيل في بحثها - لانها تهدف الى الثقافة العامة
والى اثارة الهمم - فانها جمعت ما استطاعت ان تصور به
ذلك البحث ، وترسم المنهج الجديد ، وهو منهج سداه
التراث ولحمتبه الاتجاهات المعاصرة في عالم الفكر
والتأليف . فان اصاب الهدف لذلك ما سعى اليه
البحث جادا ، وان اخطأ المرمى فهو رأي يعرض له
التقويم ويناله الاصلاح ؛ لان البلاغة فن لا يقف عند
تصور باحث واحد ولا يحده عصر من العصور .

والله ولي التوفيق .

الدكتور احمد مطلوب

١٠ حزيران ١٩٨١م

٨ شعبان ١٤٠١هـ

الاربعاء

(١)

النشأة

البلاغة علم من علوم اللغة العربية ، وكانت من مقاييس النقد الأدبي منذ عهد مبكر ، بل هي روح الادب تعلم صنعه وتبصر بنقده .

والبلاغة - لغة - الوصول والانتهاء وفي لسان العرب : « بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى . تبلغ بالشيء : وصل الى مراده . الابلاغ : الايصال . بلغت المكان بلوغا : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت عليه » . وأشار ابن منظور الى المعنى الاصطلاحي فقال : « البلاغة » : الفصاحة ، والبَلْغُ والبَلِغُ : البليغ من الرجال . ورجل بليغ وبَلَّغَ وبَلِّغَ : حسن الكلام فصيح ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع : بُلغَاء . وقد بَلَّغَ بلاغة : صار بليغا (١) .

وهذا هو المعنى العام لكلمة « البلاغة » فهي اول الانتهاء والوصول ، وهي ثانيا الفصاحة وحسن القول . وقد جاءت في القرآن الكريم بهذين المعنيين ، فمن الاول قوله تعالى : « ولما بلغ أشده » (٢) وقوله : « وبَلَغَ اربعين سنة » (٣) وقوله : « وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الأنفس » (٤) ، وهذا هو الوصول والانتهاء ، اما المعنى الثاني فكقوله تعالى : « فاعرض

عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً (٥) ، ويقع تفسير ذلك على وجهين :

الاول : ان يكون بذاته بليغاً ، وذلك بان يجمع ثلاثة أوصاف : صواباً في موضوع لغته ، وطبقاً للمعنى المقصود ، وصدقاً في نفسه ، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة .

الثاني : أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل أمراً فرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له . وقوله تعالى : « وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » يصح حمله على المعنيين (٦) .

ولا يبعد عن هذا المعنى العام ما جاء في كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « وان كان يقول : « ان الله يبغض البليغ الذي يتخلل بلسانه » ، يريد بذلك التشادق والثرثرة لا القول البليغ الذي أشار اليه كتاب الله ، ووصف به نبيه عليه السلام .

ومرت كلمة « البلاغة » بهذا المعنى اللغوي العام ، وظلت سنوات تحمل فن القول حتى اذا بدأت علوم اللغة العربية تظهر وأخذت العلوم تستقر ، ظهر معناها العلمي الذي أبعدنا عن حسن القول وبديع البيان ، فقال السكاكي : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد التشبيه والمجاز على وجهها » (٧) . وهذا تعريف علمي

يحدد أسس البلاغة ويضع موضوعاتها في أبواب وفصول يقرأها المتأدب ليصل الى الصيغ البليغة حينما يريد أن يتحدث أو يكتب . ولكن تعريف السكاكي قاصر عن فنون البلاغة لانه لم يدخل علم البديع في أبوابها ، فهو وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام ، وهذه الوجوه ليست من مرجعي البلاغة : المعاني والبيان .

وكان الخطيب القزويني آخر من وضع معالم البحث البلاغي ، وقد فرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الاولى : « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته » (٨) . ومقتضى الحال مختلف ، ومقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وخطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام . وقال القزويني عن الثانية : « وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » (٩) . وقسم البلاغة ثلاثة أقسام :

الاول : علم المعاني ، وهو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » (١٠) . وهذا التعريف يختلف عن تعريف السكاكي وهو ان علم المعاني « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل

بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره « (١١) » .
وهذا أقرب معنى وأكثر دقة لأن الموضوعات التي تبحث في علم المعاني تتصل بالتراكيب وما يقع بين الجمل من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وقصر وغيره ، وفصل ووصل ، وما يطرأ على الكلام من أساليب متنوعة كالخبر والأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء ، وما يحدث بين أجزاء الكلام من متعلقات .

الثاني : علم البيان وهو « علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » (١٢) ، وهذا قريب من تعريف السكاكي وهو : « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه » (١٣) .
وموضوعاته هي : التشبيه والمجاز والكناية .

الثالث : علم البديع ، وهو « ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته » (١٤) وهذا معنى قول السكاكي : « واذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعها ، وأن الفصاحة بنوعها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فهنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام . فلا علينا أن نشير إلى الاعرف منها وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع

الى اللفظ «(١٥) . وهذان هما : المحسنات المعنوية ،
والمحسنات اللفظية .

ان البلاغة بهذا المعنى الذي استقر عند المتأخرين
تعني العلم الذي يبحث في تركيب الكلام وصوره
البيانية من تشبيه ومجاز وكناية ، ومحسناته اللفظية
والمعنوية . وقد رأى بعضهم في هذا العصر أن يسمى
هذا العلم « فن القول » ، ورأى آخر أن يسمى « فن
التأليف الادبي » أو « فن الانشاء » أو « علم الاساليب »
أو « فن الانواع الادبية » ، وحجتهم في ذلك أن مصطلح
« البلاغة » قد رث من كثرة ما تداوَلته الاجيال
وأصبح مقترنا بألوان الادب القائمة التي خلفتها العهود
المتأخرة (١٦) . وليست العبرة بتغير المصطلحات وانما
بما يطرأ على مناهج البحث من جدة وطرافة ، ومصطلح
« البلاغة » أكثر تعبيراً عن مصطلحات بعض المحدثين ،
وهي مصطلحات لا تحمل المعاني الكثيرة التي تحملها
لفظة « البلاغة » . فلا « فن القول » ولا « علم
الاساليب » ولا « فن الانشاء » تفني عن هذا المصطلح أو
تضم كل مباحثه وأقسامه ، لان لكل مصطلح دلالة
في لفته ، وان بعضها فقد محتواه وأصبح يضيق
بالبلاغة العربية ذات الارث العظيم .

ان مصطلح « البلاغة » يجمع كثيراً من المباحث
التي لا يمكن أن تضمها المصطلحات الجديدة كالفصاحة
أو دراسة الالفاظ وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ،

وهي من أقدم الفنون التي عني بها البلاغيون وأولوها أهمية عظيمة ، وكانت دراساتهم المفصلة ونظراتهم العميقة دليلاً على تلك الإصالة، وقد عبّر القزويني عن الملكة على إنشاء الكلام وتقده تعبيراً دقيقاً حينما قال : « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته . . . وأما بلاغة المتكلم فهي مقدرة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » (١٧) . وفي هاتين العبارتين إشارة إلى الملكة الأدبية والتعبير الأدبي ، ولكن المتأخرين لم يحسنوا بحث هذه القضايا ، فظن بعض المعاصرين أن سبب ذلك قصور مصطلح « البلاغة » عن استيعاب الفنون .

ذلك معنى البلاغة كما استقر في كتب المتأخرين ، ولكن كيف نشأ هذا العلم ؟ وهل كان العرب يرجعون إلى كتب تعلمهم البيان ؟

إن الباحث حينما يتلمس البذور الأولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده . والأمة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لابد أن تعرف المعالم التي يخطتها الشعراء ويترسمها الخطباء ، وإذا كان كثير من الأحكام النقدية لم يصل مع ما وصل من شعر وخطب ، فإن بعض تلك الأحكام تناقلته الألسن وتداولته الكتب . وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان فقال سبحانه وتعالى : « الرحمن . علم القرآن . خلق

الإنسان . علمه البيان « (١٨) . وقال عن حسن كلامهم
وشدة أسرهم وتأثيره في النفوس : « ومن الناس من
يعجبك قوله في الحياة الدنيا » (١٩) .

ويمكن أن يستدل الباحث على أن العرب عرفوا
كثيراً من الأحكام النقدية والقضايا البلاغية قبل الإسلام
بأمرين :

الأول : عقلي لا يمكن إنكاره ، وهو أنه لا يصدق
أن الشعر وصل إلى ما وصل إليه في ذلك العصر ، وأن
الخطابة بلغت ذروتها ، وأن اللغة أخذت صورتها ، من
غير أن يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك ، ومن غير أن
تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء والخطباء
وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا . ومهما تحدث
الباحثون عن السليقة العربية الصافية والذوق السليم ،
ومهما وصفوا العرب بالفطنة والذكاء ، فإن العقل لينكر
أن يكون ما كان من غير ثقافة ودربة ، وقواعد تضيء لهم
الطريق وتفتح أمامهم سبل القول .

وقد تكون المصطلحات البلاغية والنقدية غير معروفة
في ذلك العصر ، لكن الفنون البلاغية التي وردت في الشعر
تشهد أن العرب كانوا يعرفون الأساليب المختلفة والصور
المتعددة التي تزيد كلامهم جمالا . فمن الاستعارة قول
أمريء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له ما تمطى بصلبه
وأردف أعجازاً ونساء بكل كل

والليل لا صلب له ولا عجز ، ولكن الشاعر استعار
له ذلك من الكائن الحي . ومثل ذلك من الاستعارة قول
الناطقة الديباني :

وصدر أراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب
وهذا مستعار من أراحة الراعي الأبل إلى الموضع
الذي تأوي إليه .

ومن الجناس قول امرئ القيس :
لقد طمح الطماح من بعد أرضه
ليلبسني من دائه ما تلبسا
فالجناس في « طمح » و « الطماح » وفي « ليلبسني »
و « تلبسا » .

ومن الطباق قول امرئ القيس :
مكرٌ مقّرٌ مقبلٌ مدبرٌ معا
كجلمود صخر حطّه السيل من عل

والطباق في « مكر » و « مفر » وفي « مقبل » و « مدبر » .

ومن رد المعجز على الصدر قول امرئ القيس :
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزان
فقوله : « يخزن » و « خزان » من رد المعجز على
الصدر .

ومن المذهب الكلامي قول زهير بن أبي سلمى :
وما يك من خير أتوه فانما
توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه
وتنبت إلا في منابتها النخل
وقول النابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان بن المنذر :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرء لي جانب
من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك واخوان اذا ما اتيتهم
 احكم في اموالهم واقرب
 كفعلك في قوم اراك اصطفيتهم
 فلم ترهم في مدح ذلك اذنبوا
 ومن الالتفات قول امرئ القيس :
 تطاول ليلك بالاثمد
 ونام الخلي ولم ترقد
 وبات وبات له ليلة
 كليلة ذي المائر الارمد
 وذلك من نيا جاءني
 وخبراته عن ابي الاسود
 ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم قول النابغة
 الدياني :
 ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
 بهنّ فلول من قراع الكتائب
 ومن التشبيه قول امرئ القيس :
 ومشدودة السك موضونة
 تضائل في الطي كالبرد
 تفيض على المرء اردانها
 كفيض الاتي على الجدجد (٢٠)

وقوله :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومن حسن الابتداء قول النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومن لزوم مالا يلزم قول طرفة :

الم تر أن المال يكسب أهله
فضوحاً إذا لم يعط منه نواصبه

أرى كل مال لا محالة ذاهباً

وأفضله يبقى وإن مات كاسبه

ومثل هذه الفنون كثير في شعر المتقدمين ، ومعنى ذلك أن الشعراء كانوا ينزعون منزعا فنيا تعارفوا عليه ، وأنهم كانوا يحسون بما لمثل هذه الفنون من أثر في الكلام وقيمة في التعبير ، ولن يجيء ذلك إلا عن وعي وإدراك وفهم للمعاني المختلفة التي تورثها تلك الألوان البلاغية . وهذا الوعي والفهم يوحيان بأن البلاغة معروفة لا بمعناها التعبيري فحسب وإنما بدلالاتها الفنية . وهذا ما يؤيد أصالة هذا الفن عند العرب ، ويقطع ما يثار من شكوك وريب في نشأة البلاغة العربية وتطورها .

الثاني : نقلي ، وهو ما أثر عن العرب وما جاء عن
خطبائهم ووصف خطبهم وقد كان الخطباء يعتزون
ببيانهم ويفخرون بانفسهم ، ولما دخل ضمرة بن ضمرة
على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته
وقصره وقلته فقال النعمان : « تسمع بالمعيدي لا ان
تراه » فقال : « ابيت اللعين ان الرجال لا تكال بالقفران
ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك تستقى ، وانما المرء
بأصغريه : بقلبه ولسانه ، ان صال صال بجنان وان قال
قال ببيان » (٢١) .

واستدل الجاحظ من الفاظ « العيي » و « البكيء »
و « الحصر » و « المفحم » و « الخطل » و « السهب »
على ان العرب قبل الاسلام عرفوا كثيرا من عيوب الخطابة
والبلاغة ، ولو لا ذلك ما ذكروا هذه العيوب (٢٢)
ووصف العرب كلامهم في اشعارهم فجعلوها كبرود
العصب وكالحلل والمعاطف والديباج والوشى (٢٣) ووصفوا
شعراءهم واضفوا عليهم القابا كالمهلل والمرقش والمثقب
والمنخل والافوه والنايفة . وكان بعض الشعراء يعنى
باشعاره وينقحها قبل ان يذيعها بين الناس ، وقد
اشتهر زهير بن سلمى بالحواليات ، وكان الحطيئة يقول :
« خير الشعر الحولي المحكك » . وهذا يدل على انهم
كانوا يعرفون فنون القول ويفرقون بين الجيد والردىء ،
والحسن والاحسن ، ولولا معرفتهم بذلك ما وقفوا طويلا
أمام القصائد ينقحونها ، وأمام الشعراء يبدون رأيهم

فيرفعون ويخفضون . وفي كتب الادب والنقد كثير من الاحكام المتصلة بالمعاني واللغة والقوافي ، وهي احكام أنكرها بعض المعاصرين (٢٤) ، ولكنها تبقى دليلا - مع ما قيل فيها - على أصالة الامة العربية وفطنة شعرائها في تلك المهود التي لم تكن فيها كتب تعلم الفصاحة وفن القول .

أن العرب قبل الاسلام عرفوا كثيرا من الاحكام النقدية والبلاغية ، وحينما نزل القرآن الكريم كان نزوله حدثا بلاغيا عظيما ، وكان ايمان العربي واعتناقه الاسلام حكما نقديا أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية وخبرته الطويلة . واضفت احاديث الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - على العرب بلاغة جديدة ، وكانوا يرددون قوله - عيله السلام - : « ان من البيان لسحرا » وكان الخلفاء الراشدون والصحابه يستمعون الى الشعر ويبدون رأيهم فيه ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول عن زهير بن ابي سلمى انه « لا يتبع حوشي الكلام » وانه « كان لا يعاقل بين الكلام » (٢٥) .

وازدهرت الحياة الادبية في العصر الاموي ، وكان الخلفاء يعقدون المجالس ويستمعون الى الشعراء ويعلقون على بعض ما يسمعون ، من ذلك أن عبيد الله بن قيس الرقيات أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها :

يأتلق التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فلما سمع عبد الملك ذلك غضب وقال له : قد قلت
في مصعب بن الزبير :

أنما مصعب شهاب من الك
به تجلت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الفم وجلاء الظلم ،
وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج
فوق جبیني الذي هو كالذهب في النضارة (٢٦) وهذه
الملاحظة الدقيقة ألهمت قدامة بن جعفر فكرة أن المدح
ينبغي أن يكون بالفضائل النفسية لا بأوصاف الجسم
وما يتصل بها من الحسن والزينة والبهاء . وكان
معاوية بن أبي سفيان قد وقف عند البلاغة من قبل وقال
لصحرار بن عياش العبدی : « ما هذه البلاغة التي
فيكم ؟ » . قال : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على
السنتنا » . وقال له معاوية : « ماتعدون البلاغة
فيكم ؟ » قال : « ألايجاز » . قال له معاوية : « وما
الاجاز ؟ » قال : « أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا
تخطئ » (٢٧) .

وشهد القرن الثاني للهجرة حركة أدبية واسعة
وكانت الحواضر تتمخض عن نهضة علمية كبيرة ، ورأى
هذا القرن كثيرا من تعريفات البلاغة من ذلك قول

الخليل بن أحمد الفراهيدي : « كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغية ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا ، وآخر كلامك لاوله مشابها وموارده لمصادره موازنا فافعل (٢٨) » وقوله : « البلاغة كلمة تكشف عن البقية (٢٩) » وقوله انها « ما قرب طرفاه وبعد منتهاه (٣٠) » . وبدأت الكتب تظهر ومن ذلك كتاب « المعاني » لمؤرج السدوسي وكتاب « الفصاحة » لابي حاتم السجستاني . وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في القرنين الثالث والرابع وظهرت كتب التفسير واللغة والادب تحمل في صفحاتها بذور البحث البلاغي الذي استقل منذ عهد مبكر واصبحت البلاغة علما من علوم اللسان .

(٢)

الاهداف

ان الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد أن خرجوا من جزيرتهم دفعتهم الى العناية باللغة والادب وأيامهم ، لانهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها اللغة العربية بعد أن دخل في الاسلام قوم أرادوا هدمها وتقويض دولة العرب . وكانت الجهود العظيمة التي بذلها المخلصون ايدانا بظهور علوم اللغة التي أخذت تتطور جيلا بعد جيل حتى أصبحت سامقة لا تقدر عليها هوج الاعاصير .

وقد تضافرت أسباب وأهداف كثيرة دفعت العرب الى الخوض في الدراسات البلاغية ، ويمكن تلخيصها في ثلاثة :

الاول : الهدف الديني ، وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدى الانس والجن . ولكي يبرهنوا على اعجازه ويفهموا آياته وأسلوبه ليستنبطوا الاحكام منه ، اتجهوا الى البلاغة باحثين فنونها موضحين اقسامها لتكون لهم عونا في فهم القرآن . وكان هذا من اهم الاهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف فيها ، وقد اشار أبو هلال العسكري الى هذا الهدف السامي

بقوله : « أعلم - علمك الله الخير وذلك عليه وقبضه لك وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعليم وأولاهها بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف أعجاز كتاب الله الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشيد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق واقامت منار الدين ، وازالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينها . وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم العربية وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بأعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما شحنه من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها . وانما يعرف أعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وصفاء ألفاظه . وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ، والقاريء المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آله في مجادلته وشدة شكيمة في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح أن لا يعرف أعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدل عليه بما استدل به

الجاهل الفبي . فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله - تعالى - ومعرفة عدله والتصديق بوعدده ووعيده اذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه «(١)» .

ان هذا الربط الوثيق بين كتاب الله وعلم البلاغة يشير الى ما لهذا العلم من أهمية في فهم القرآن الكريم والوقوف على أسرارهِ واستنباط الاحكام منه ، بعد ان تفشى اللحن في العربية وجنحت اللغة نحو الضعف ، وترنقت بالمجمة في البلدان التي دخلها العرب ومعهم نور الله . ولكن أبا هلال العسكري يبالغ في معرفة هذا العلم ، فهو ليس « أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » وان كان من أحق العلوم ، لان هناك علوما أخرى أولى من هذا العلم وهو الحديث النبوي الشريف واحكام الشريعة التي بها يسان المجتمع ويحيا الناس حياة حرة كريمة . ان أبا هلال - مع هذه المبالغة - يلمح الى أهمية علم البلاغة ويربطه بكتاب العربية الاكبر القرآن الكريم ، وفي ذلك اشارة الى الهدف الاول الذي سعى الباحثون الى تحقيقه حينما شرعوا يؤلفون في البلاغة ويضعون أبوابها وفصولها .

الثاني : الهدف التعليمي ، وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى ، وأدى ذلك الاتصال الى فساد اللغة ودخول اللحن فيها . يضاف الى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة

الى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا كتاب الله ، وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية ودستورها القرآن . وكانت المقدرة الكتابية في كثير من الاحيان السبيل الموصل الى المناصب الرفيعة ، وكان على من يسعى الى تسنمها أن يكون كاتباً له في الادب وفنونه يد طولى وله أسلوب رفيع . وقد نال آل وهب وغيرهم في العصر العباسي بفضل الكتابة أرفع المناصب وتقلدوا الوزارة وتدير الدولة ، وتسلم ضياء الدين بن الاثير الوزارة في عهد بني أيوب . فلكي يتعلم العربي الناشيء - في بيئة امتزجت فيها اللغات - لغته العربية ويصبح قادراً على التعبير الحسن والنظم الرائق وانشاء الرسائل البديعة ، ولكي يتعلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها ، ولكي يصل الناس الى أرقى المناصب وأعلى الرتب - كان عليهم جميعاً أن يتقنوا العربية . ولا يتم ذلك الا بمعرفة ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وأسمائها ، والبلاغة إحدى تلك السبل التي توصل الى هذه الغاية وتخدمها .

إن الغرض التعليمي كان من أهم تلك الاهداف التي دفعت الباحثين الى العناية بالبلاغة بعد أن ابتعد العرب عن جزيرتهم وفسدت لغة بعضهم لمجاورة الاعاجم أو الحياة بين ظهرانهم . وكان هذا السبب من الدوافع التي جعلت العرب يفكرون في جمع تراثهم وتدوينه ووضع القواعد والاصول التي تحفظ ذلك التراث وتجعل العرب

مرتبطين به ارتباطا وثيقاً .

الثالث : الهدف النقدي ، وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل . والبلاغة تعين الناقد كثيرا لأنها تقدم له الآلة التي تهيء له الفهم والحكم ، ولذلك اعتنى القدماء عناية كبيرة بها وألفوا الكتب فيها . وقد أشار أبو هلال العسكري الى الهدفين التعليمي والنقدي بقوله : « ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة ، منها أن صاحب العربية اذا أخل بطلبه وفرط في التماسه ففاته فضيلته وعلقت به رذيلة فوته ، عفى على جميع محاسنه وعمى سائر فضائله ، لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد بأن جهله وظهر نقصه . وهو أيضا اذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشيء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر وخلط الفرر بالعرر واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل كما فعل ابن جحدر في قوله :

حلفت بما أرقلت حيله

همرجلة خلقها شيطم

وما شبرقت من تنوفية

بها من وحى الجن زيزيم (٢)

وانشده ابن الاعرابي فقال : « إن كنت كاذبا فالله حنيبك » . وكما ترجم بعضهم كتابه الى بعض الرؤساء :

« مكرسة تريوتا ومحبوسة بسريتا » فدلّ على سخافة عقله واستحكام جهله ، وضرّته الغريب الذي أتقنه ولم ينفعه ، وحطّته ولم يرفعه ، لما فاته هذا العلم وتخلّف عن هذا الفن . وإذا أراد أيضا تصنيف كلام منشور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم سوء اختياره له وقبّحت آثاره فيه ، فأخذ الرديء المرذول وترك الجيد المقبول ، فدلّ على قصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه » (٢) .

فأبو هلال يشير إلى الهدفين التعليمي والنقدي ويضع البلاغة في أول الطرق التي ينبغي أن يسلكها كل متعلم أو من يريد أن ينظم قصيدة أو يكتب رسالة ، أو من يريد أن يوازن بين الكلام فيعرف جيده من رديئه وأحسنه من حسنه .

ويتصل بالهدف النقدي رواية الأدب ومعرفة الجيد الذي يروى والرديء الذي ينبغي أن يطرح . وقد أشار أبو هلال إلى ذلك بقوله : « وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله كما أن شعره قطعة من علمه . وما أكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة ، منهم الأصمعي في اختياره قصيدة المرقش

هل بالديار أن تجيب صمم
لو أن حيّا ناطقا كلّم

ولا أعرف على أي وجه صرف اختياره اليها ،
وما هي بمستقيمة الوزن ولا موفقة الروي ولا سلسلة
اللفظ ، ولا جيدة السبك ، ولا متلائمة النسيج . وكان
المفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له ويكثر
الغريب فيه ، وهذا خطأ من الاختيار ، لأن الغريب لم
يكثر في كلام إلا أفسده ، وفيه دلالة الاستكراه
والتكلف « (٤) .

فاختيار النصوص الحسنة لا يتيسر لمن لم يدرس
البلاغة ويقف على فنونها وأسااليبها ، ولا تغني معرفة
اللغة أو النحو ، لانهما لا يلمحان إلى روعة الأصياغة
وجودة المعنى وشدة الأسر كما تلمح إليه البلاغة وتشير
إلى مواطن الروعة والجمال فيه . ولذلك كان الناس
يدرسون هذا العلم ليضعوا أيديهم على النصوص الجيدة
ويتذوقوها ويحسنوا اختيار الروائع منها . فالبلاغة
لتأليف النظم والنثر ونقدهما واختيار الحسن الجيد
منهما « بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام » (٥)
كما قال ضياء الدين بن الأثير وهو يتحدث عن علم البيان .
كانت هذه الأهداف وغيرها دافعا قويا حفز العرب
والمسلمين للخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيها ،
وكانت هذه الأهداف غرض المؤلفين جميعا ، ولا يكاد
كتاب من كتب البلاغة وأعجاز القرآن يخلو من الإشارة
إليها . ولعل ما ذكره أبو هلال العسكري في « كتاب
الصناعتين » يوضح الفرض ويخدم الفكرة ويعين على

تصور الدوافع التي كان لها الفضل الكبير في ظهور
كتب البلاغة والنقد .

وقد تضافرت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة
وأصولها ، ويتضح ذلك في آثار المفسرين والأصوليين ،
والمفويين والنحاة ، والشعراء والكتاب ، والفلاسفة
والمتكلمين .

(٣)

المؤثرات

لم يظهر البحث البلاغي فجأة وإنما كانت له جذور امتدت الى عهد مبكر ، ولعلها امتدت الى ما قبل الاسلام ولكن ما وصل من أخبار يشير الى أن البذور الاولى ظهرت حينما نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وحينما كان الرسول العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - يشيد بالشعر المؤثر ويقول : « ان من البيان لسحرا » ويتحدث بأعذب الكلام وأبلغه ويدعو الى تجنب الالفاظ الموحية بما لا يحسن كقوله : « لا تقولن أحدكم : « خبثت نفسي » ولكن ليقل : « لقست » كراهية أن يضيف المسلم الخبث الى نفسه (١) . وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يدعو الى تجنب حوشي الكلام وغريبه ، ويحث على ترك المعاطلة ويقول عن زهير انه « لا يعاقل بين الكلام » (٢) . وكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يبدع في الكلام ويأتي بنهج البلاغة ورائع البيان .

ولم تصل البلاغة الى ذروة نضجها لولا تظافر عدة عوامل وجهتها ولونت منهاجها بألوان مختلفة .

وأهم المؤثرات التي رفدت البحث البلاغي خلال القرون السبعة الاولى بعد الهجرة المحمدية هي :

الأول : المفسرون والاصوليون ، وكان ذلك من أثر القرآن الكريم الذي نزل حجة بلاغية كبرى وممطرة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين . وشغل الناس بكتاب الله واخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون القول . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها أحق العلوم بالتعلم وأولاهها بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - . وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد أنها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيك » (٢) .

وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع ، وكانت إحدى آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة كتابه « مجاز القرآن » . وأنهى ابن خلدون الى أن ثمرة علم البلاغة « إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن ، لان أعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها . وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الافهام من ادراكه » (٤) .

وكان لمسألة الإعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون أول من بحثوا في أعجاز القرآن وبلاغته ، وقالت المعتزلة - الا النظام وهشاما الفوطي

وعباد بن سليمان : « تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كأستحالة احياء الموتى منهم ، وأنه علم لرسول الله » . وقال النظام : « الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم » . وقال هشام وعباد : « لا نقول أن شيئا من الاعراض يدل على الله ... سبحانه وتعالى - ولا نقول أيضا أن عرضا يدل على نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يجعل القرآن علما للنبي - صلى الله عليه وسلم - وزعما أن القرآن أهراض » (٥) .

واختلفت وجهات النظر في الإعجاز ، وتشعبت سبل القول ، لان الوصول الى ذلك صعب وتحديد وجوه البلاغة في القرآن أصعب . ولكن لم يشنهم ذلك عن رمهم ومضوا يتلمسون بلاغته ويبينون اعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يدرك القرآن ويفهم البيان . ومن أشهر الذين عنوا بالإعجاز وببلاغة القرآن أبو عبدالله محمد بن يزيد الواسطي صاحب كتاب «اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه» ولم يصل هذا الكتاب أو شرحاه لعبدالقاهر الجرجاني . ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني صاحب رسالة «النكت في اعجاز القرآن» الذي ذهب الى أن كتاب الله معجز ببلاغته وهو أعلى طبقات الكلام ، وبحث

البلاغة التي عدّها عشرة أقسام هي : الإيجاز ،
 والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ،
 والتجانس ، والتصريف ، والتضمن ، والمبالغة ،
 وحسن البيان : ومنهم أبو سليمان حمد بن محمد بن
 إبراهيم الخطابي مؤلف رسالة « بيان أعجاز القرآن »
 الذي رأى أن البلاغة ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن
 نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس ، وإلى صنيعة
 في القلوب وتأثيره العظيم . ومنهم أبو بكر محمد
 ابن الطيب الباقلاني صاحب كتاب « أعجاز القرآن »
 الذي ذهب إلى أن كتاب الله معجز لانه نظم خارج عن
 جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ولذلك رأى
 أن البديع ليس من الوجوه التي يعلل بها الإعجاز .
 ومنهم القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي الذي
 أفرد الجزء السادس عشر من كتابه « المغني في أبواب
 التوحيد والمدل » للكلام على أعجاز القرآن وذهب
 إلى أنه معجز بالنظم ، وهي الفكرة التي بنى عليها
 عبد القاهر الجرجاني كتابه « دلائل الإعجاز » (٦) .

وكان للمفسرين دور كبير في نشأة البلاغة العربية
 وتطورها ، وكانت إحدى الوسائل في كشف أسرار
 الإعجاز وتبيان ما في الآيات البينات من روعة وجمال .
 وقد وضع المفسرون لكتبهم مقدمات بلاغية تحدثوا
 فيها عن البلاغة وقنونها ونبهوا إلى أهمية ذلك فقال
 الطبري في مقدمة تفسيره : « بيد أن الرسول عربي

وان القرآن نزل بلسانه ، فالواجب أن تكون معاني
كتاب الله المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -
لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامهم
ملائما . فاذا كان ذلك كذلك فبين إذ كان موجودا في
كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء من الإخفاء
بالإظهار ، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال ،
واستعمال الإطالة والإكثار والتردد والتكرار ، وإظهار
لمعاني كلام العرب موافقة ، وظاهره لظاهر كلامهم
الأوقات والخبر عن الخاص في المراد بالعام ، وعن العام
في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه
المصرح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف
والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر ، وتأخير
ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض وبما
يظهر عما يحذف وإظهار ما حظه الحذف أن يكون ما في
كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -
من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبيها . ونحن
نسو جميع ذلك في أماكنه أن شاء الله ذلك وأمد منه
« ون » (٧) . وقال جار الله الزمخشري في مقدمة
« بيره : » أن أملا العلوم بما يفمر القرائح ، وأنهضها
« ما يهر الالباب القوارح ، من غرائب نكت يلطف مسلكها
« متودعات أسرار يدق سلكها ، علم التفسير الذي
لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر
الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » . فالفقيه وإن برز

على الاقران في علم الفتاوى والاحكام ، والمتكلم وان بزَّ
أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والاخبار
وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من
الحسن البصري أوعظ ، والناحوي وان كان أنحى من
سيبويه ، واللفوي وان علك اللفات بقوة لحييه ،
لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يفوص
على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين
مختصين بالقرآن وهما : علم المعاني وعلم البيان ،
وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة ،
وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله ،
وحرص على استيضاح معجزة رسول الله (ص) .
وتفسير الزمخشري من أكثر كتب التفسير اعتماداً على
فنون البلاغة ، وقد فتح الطريق للمفسرين والبلاغيين ،
وأصبحت كتب البلاغة سبيلاً تفضي إلى رحاب القرآن
ومعالم يهتدي بها الدارسون ، ويستعين بما فيها من
مضات مشرقة ولمحات بديعة المفسرون . ولذلك كانت
البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وإدراك فصاحته
وبلاغته ، وصار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب
التفسير إلا بعد أن يلزم طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها
كما فعل يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه « الطراز
المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليكون
عوناً لمن شرع في قراءة تفسير « الكشاف » عليه ، قال :
« ثم إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة

من الإخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشف تفسير
الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر
الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند
ذلك وجه الاعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه
الفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا انه
لا سبيل الى الاطلاع على حقائق اعجاز القرآن الاّ بادراكه
والوقوف على أسرارہ وأغوارہ . ومن أجل هذا الوجه
كان متميزا عن سائر التفاسير ، لاني لم أعلم تفسيراً
مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواه ، فسألني بعضهم
ان املئ فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق » (٩) .

وأثر الاصوليون والفقهاء في البلاغة ، وفي كتب
أصول الفقه بحوث مستفيضة عن الخبر والانشاء ،
والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على انتشار علم
الأصول بها . قال السكاكي : « بل تصفح معظم أبواب
أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها ؟ » (١٠)
وأشار بهاء الدين السبكي الى الصلة الوثيقة بين علمي
المعاني وأصول الفقه فقال : « وأعلم أن علمي أصول
الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والانشاء
الدين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ،
وان كل ما يتكلم عليه الاصولي من كون الامر للوجوب
والنهي التحريم ، ومسائل الاخبار والعموم والخصوص
والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجيح -
الها ترجع الى موضوع علم المعاني . وليس في أصول

الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة» (١١) . ويرى ابن خلدون أن معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب « ضرورة على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة » (١٢) . ومن كانت لهم مشاركات بلاغية في كتبهم الأصولية الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب « الرسالة » و « الأم » وأبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي صاحب كتاب « المعتمد في أصول الفقه » ، والإمام أبو حامد محمد بن محمد الفزالي مؤلف كتاب « المستصفى من علوم الأصول » ، وأبو الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الأمدى صاحب كتاب « الأحكام في أصول الأحكام » . ومن الفقهاء الذين شاركوا في البحث البلاغي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام صاحب كتاب « الإشارة إلى الإيجاز في بغض أنواع المجاز » ، وشمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية مؤلف كتاب « الفوائد - المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » .

إن اهتمام علماء أصول الفقه والفقهاء بالمباحث البلاغية التي وشحوا بها كتبهم أو ألفوا فيها وعدوها من طرق الفقه وأصوله ، دفع البلاغيين إلى وضع القواعد

الواضحة والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم اليها في استنباط
الاصول والاحكام (١٢) .

الثاني : اللغويون والنحاة ، وكان للغويين يد طولى
في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد ظل دورهم مشهودا منذ
عهد التدوين ، واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج
الدرس ويرفعوا لواء المحافظة على اللغة ويردوا المحدثين
وما ذهبوا اليه . وأخبار الخصومة بين الشعراء واللغويين
مستفيضة ، من ذلك أن ابن أبي اسحاق اعترض على
الفرزدق لرفع « مجلف » في قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من الناس الا مسحتا أو مجلف

فقال : « علام رفعت « مجلف » ؟ فردّ الفرزدق :
« على ما يسوؤك وينوؤك ، علينا أن نقول وعاليكم أن
تتأولوا » . وأن ابن أبي اسحاق قال للفرزدق أيضا :
انك أسأت في قولك :

مستقبلين شمال الشام تضربهم
بحاصب كنديف القطن منشور

على دمائنا تلقى وأرحلنا
على زواحف تزجى منخها رير

وانما هو « رير » وكذلك قياس النحو في هذا
الموضع . وكان يكثر الردّ عليه حتى قال فيه :

فلو كان عبدالله مولى هجوته
ولكن عبدالله مولى مواليا

فرد عليه قائلا : انها « مولى موال » (١٤) . وكان
الخليل بن احمد الفراهيدي يقول لابن مناذر : « انما
أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة ان
قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والا كسدتكم » . فقال
ابن مناذر : « والله لأقولن في الخليفة قصيدة امتدحه
بها ولا احتاج اليك فيها عنده ولا الى غيرك » (١٥) . وكان
الشعراء يستهينون بالنحاة ولا يقبلون أحكامهم ، قال
أبو أحمد العسكري : « أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى
قال : حدثني علي بن العباس قال : رأي البحتري ومعي
دفتر فقال : ما هذا ؟ فقلت : شعر الشنفرى . قال :
والى أين تمضي ؟ قلت : أقرؤه على أبي العباس أحمد بن
يحيى . قال : رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام فلم أر له علما
بالشعر مرضيا ولا نقدا له ، ورأيت ينشد أبياتا صالحة
ويعيدها الا انها لا تستوجب الترديد والاعجاب بها » (١٦) .
ووقف بعض البلاغيين بوجه اللغويين والنحاة أيضا
وسخروا منهم كأبن الاثير الذي قال وهو يتحدث عن
ابن جني . . « لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو
والاعراب » (١٧) .

ان هذا الصراع بين اللغويين والنحاة والشعراء أفاد
الادب ودفع الجميع الى البحث والتفكير فكانت الكتب
العظيمة والآراء السديدة . واذا كان موقف الشعراء

يتسم بالمغالاة ، فإن اللغويين والنحاة أثروا في نشأة
 البلاغة وتطويرها ، وكانت لهم وقفات محمودة والتفاتات
 بارعة أغنت كتب البلاغة . ومن أقدم الذين اهتموا باللغة
 وشواردها والنظر في الشعر أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي
 ذكر كثيرا من أصول البلاغة ومصطلحاتها في كتابه
 « مجاز القرآن » و « النقائض » ، وأبو سعيد عبد الملك بن
 قريب الأصمعي ، الذي ذكر بعض مسائل البلاغة والنقد
 في كتابه « فحولة الشعراء » ونشر آراءه البلاغية وبعض
 مصطلحاتها في مجالسه ونقلها عنه البلاغيون والنقاد .
 ومنهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الذي تحدث عن
 بعض قضايا البلاغة في كتابه « الكامل » وأفاض الكلام على
 التشبيه وأقسامه ، وأبو الحسين أحمد بن فارس الذي
 كان كتابه « الصحاح » من أهم الدراسات اللغوية التي
 نيت بالبلاغة وأقسامها ومصطلحاتها ، ويعد فصل
 « معاني الكلام » من أهم الفصول التي أثرت في دراسة
 علم المعاني .

ومن النحاة الذين كانت لهم مشاركات بلاغية أبو
 بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه ، فقد
 تحدث في كتابه المعروف عن الأساليب العربية وتعرض
 لبعض فنون البيان . ومنهم أبو زكريا يحيى بن زياد
 الفراء الذي كان كتابه « معاني القرآن » دراسة أسلوبية
 لايات الكتاب وموردا عذبا لمن يريد أن يبحث في أصول
 البلاغة العربية وأصالتها . ومنهم أبو العباس أحمد بن

يحيى المعروف بثعلب ، ويعد كتابه « قواعد الشعر » من أوائل الكتب البلاغية ، والنقدية ذات الصبغة العلمية في ترتيب الموضوعات والكلام عليها ، وكان هذا الكتاب الصغير قبسا استضاء به ابن المعتز في كتابه « البديع » الذي ادعى فيه أنه لم يسبق إليه ، مع أن استاذة ثعلبا سبقه إلى ذكر مصطلحات البلاغة والتعريف بها وذكر الأمثلة . ولكن أهم نحوي أثر في البلاغة العربية هو عبدالقاهر الجرجاني صاحب « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وهذان الكتابان هما زبدة البلاغة العربية وأساس البحث فيها ، وكانت نظرية النظم التي أرسى عبدالقاهر قواعدها أعظم ما وصل إليه العرب القدماء ، وهي نظرية ظهر مثلها في الغرب خلال هذا القرن وزخر العالم بمؤلفاتها البنيوية في العلوم المختلفة . وقد أثر عبدالقاهر في البلاغة وبنى الزمخشري تفسيره على آرائه ، واعتمد الرازي عليه في كتابه « نهاية الإيجاز » وبنى كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم السماكي المعروف بأبن الزملكاني كتابيه « التبيان في علم البيان المطلع على أعجاز القرآن » و « البرهان الكاشف عن أعجاز القرآن » على كتابي عبدالقاهر (١٨) .

الثالث : الشعراء والكتاب ، وكان الشعراء منذ الجاهلية يعنون بالقول ويجودون أشعارهم وينقحونها ، وقد دلت الملاحظات البيانية على أنهم كانوا أصحاب ذوق رفيع ومعرفة واسعة بجيد الشعر ورديئه وحسنه

وأحسنه . ونما شعورهم وذوقهم حينما تقدم بهم
الزمن وكثرت ملاحظاتهم حتى إذا ما جاء العصر المباسي
ودخل العرب حياة جديدة تطورت نظرتهم إلى الشعر
وتوسع أدراكهم لما فيه من روعة وجمال أو تصنع
وطبع . وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني أن
يشار بن برد كان ينقد الشعر ويشير إلى جيده ورديته ،
وقد أنشد قول الشاعر :

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا
وتطمع فينا ألسن وعيون
ألا إنما ليلى عصا خيزرانة
إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال : والله لو زعم أنها عصامخ أو عصا زبد لقد
إن جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا ، ألا قال
أما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد
كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لمشييتها تثنت
كأن عظامها من خيزران
وقال : « لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس
أن شبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول :
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد
حتى قلت :

كأنّ مشار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (١٩)

وفي كتب الادب كثير من هذه الاحكام التي تدل
على مكانة الشعراء في العصر العباسي وتوجيههم النقد
والبيان ، قال ابن المعتز : « البديع اسم موضوع لفنون
من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأديين منهم ، فأما
العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم
ولا يدرون ما هو » (٢٠) . وقال ابن رشيق : « أهل
صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب
ومثل وخبر وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم بدرجات ،
وكيف وإن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ؟ وقد كان أبو
عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر حلبة
هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غبارا لنفاذه
فيها وحذقه بها وإجادته لها » (٢١) . وكان الشعراء ينقدون
شعرهم ويتفقّدونه قبل أن يعرضوه على الناس ، وكان
أبو نواس ينظم القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على
نفسه فيسقط منها ويترك صافيها ولا يسرّه كل ما
يقذف خاطره (٢٢) . وكان مسلم بن الوليد يبطيء في
صنعتة ويجيدها ولذلك قالوا عنه : « انه زهير
المولدين » (٢٢) أي انه كان ينقح شعره ويجوّدّه ويعنى
بالصنعة فيه .

ومن الشعراء الذين كان لهم دور كبير في نشأة
البلاغة عبدالله بن المعتز صاحب كتاب « البديع » الذي
كان خطوة كبيرة خطتها البلاغة . وقد وضعه رداً على
من يزعم ان المولدين فتحوا باب البديع ، قال : « وقد
قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن
واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام
الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام
الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشاراً ومسلماً
وأباً نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى
هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى
سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه » (٢٤) وقال :
« غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس ان المحدثين لم
يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع » (٢٥) وفي
ذلك تأكيد لإصالة البلاغة العربية ونشوئها في رحاب
الامة العربية . وتتضح في كتاب « البديع » الدقة
في التقسيم ، فقد أقامه على نوعين من الفنون سمى
الأول البديع وهو : الاستعارة ، والتجنيس ،
والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب
الكلامي ، وهي الفنون التي ثارت حولها الخصومة بين
الشعراء والنقاد . وسمى الثاني محاسن الكلام وهي :
الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ،
وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل
يراد به الجحد ، وحسن التضمن ، والتعريض والكناية ،

والأفراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، ولزوم ما لا يلزم ،
وحسن الابتداء . وكانت هذه الفنون التي ذكرها ابن
المعز في القسمين عمدة البلاغيين والنقاد فقد استند
إليها قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » وابن أبي
الاصبع المصري في كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير
التحبير » وأضافا إليها ألوانا جديدة ، وفعل مثلهما
البلاغيون والنقاد الآخرون .

وألف الشريف الرضي كتابين في البيان هما :
« تلخيص البيان في مجازات القرآن » و « المجازات
النبوية » وهما كتابان في المجاز بمعناه الواسع . ومن
الشعراء الذين ألفوا في البلاغة والنقد أبو علي الحسن
ابن رشيق القيرواني الذي ترك كتابين مهمين هما
« العمدة » و « قراضة الذهب » والاول من أحسن
كتب البلاغة المعتمدة على الذوق والنقد السليم . ومنهم
أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي
صاحب « سر الفصاحة » وقد تحدث فيه عن فنون
البلاغة غير أن دراسته للكلمة المفردة والكلام المركب يُعَدُّ
من أوسع ما عرفتة البلاغة القديمة . والكتاب من أنفس
كتب البلاغة والنقد في القرن الخامس للهجرة لأنه جمع
بين التعليل والتحليل والعلم والذوق . وقد كان الدافع
إلى تأليفه اختلاف الناس في ماهية الفصاحة وحقيقتها
وقد أراد ابن سنان أن يجلوها ويعرضها عرضا حسنا ،
لأنه يؤمن بأن للفصاحة أثرا عظيما في نظم الكلام على

اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يختار منه وما يكره ، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة بل هو مقصور على المعرفة بها فلا غنى لمنتحل الأدب عن دراسة الفصاحة على النحو الذي ذكره في الكتاب . وكانت الشروط التي وضعها للفصاحة عمدة البلاغيين المتأخرين ولا سيما الخطيب القزويني وشرّاح تلخيصه ، وهي شروط أوقفت دراسة الالفاظ وأحالتها قواعد ثابتة ليس فيها للذوق دور كبير .

ومن الشعراء أبو المظفر أسامة بن منقذ الذي جمع في كتابه « البديع في نقد الشعر » خمسة وتسعين نوعا من فنون البلاغة . ومنهم أبو محمد زكي الدين عبد العظيم المعروف بابن أبي الأصبع العدواني المصري ، وله كتابان مهمان هما : « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » وقد أودع فيهما أكثر من مائة لون بلاغي درسها بأسلوب أدبي بديع ، وحلل ، الأمثلة تحليلا فنيا يشهد له بالقدرة على التأليف الحسن والتمتع بذوق الشاعر المرهف (٢٦) .

وكان للكتاب أثر واضح في البلاغة فقد صبغوا كثيرا من بحوثها بصفة أدبية لما امتازوا به من أدب رفيع وذوق سليم . وهم الذين قال الجاحظ عنهم : « أما أنا فلم أرَ قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا » (٢٧) . وقال : « وقد جلست الى أبي عبيدة الأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت

أحدا منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشده ، وكان
خلف يجمع ذلك كله . ولم أرَ غاية النحويين إلا كل
شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم — فقد طالت
مشاهدتي لهم — لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني
المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة
الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك الجيد ،
وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعاني التي إذا
صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم
وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مداها فن
الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني : ورأيت البصر بهذا
الجوهر من الكلام في رواية الكتاب أعم وعلى السنة حذاق
الشعراء أظهر . ولقد رأيت أبا عمرو الشيباني يكتب
أشعارا من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ
والتذاكر ، وربما خيل إلي أن أبناء أولئك الشعراء
لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيدا لمكان أعراقهم
من أولئك الأبناء . ولولا أن أكون عيايا ثم للعلماء خاصة
لصورت لك في هذا الكتاب ما سمعت من أبي عبيدة ومن
هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة « (٢٨) . وقال — فيما
اختصه ابن رشيقي — : « طلبت الشعر عند الأصمعي
فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته
لا يتقن إلا أعراجه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن
إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم
أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب

محمد بن عبد الملك الزيات « (٢٩) وقال ابن رشيق :
« الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيفاً ،
وأحلاهم الفاظاً ، وأطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ،
وأبعدهم من تكلف . وقد قيل : الكتاب دهاقين الكلام » (٣٠) .

وأخذت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الأموي ،
وكان عبد الحميد الكاتب ممن انتهت اليهم رئاسة الكتابة
في ذلك العهد . وقد أثر في الكتابة وكانت له آراء تجلت
في آثار ابن المقفع وسهل بن هارون وجعفر بن يحيى
وكلثوم بن عمرو العتابي وغيرهم من كتاب العصر العباسي
ولكن أشهر الكتاب «الذين أثروا في البلاغة أبو عثمان عمرو
ابن بحر الجاحظ الذي نشر كثيراً من مصطلحات البلاغة
وفنونها في كتبه ورسائله ولا سيما « البيان والتبيين » و
« الحيوان » . ويعد الجاحظ أحد مؤسسي علم البيان
وباني أركانه لما جمع في كتبه من أقوال في البلاغة
والفصاحة وأبدى من آراء فيهما . وكان لما ذكره أثر في
الكتاب الذين جاءوا بعده كقدامة بن جعفر الذي جمع في
كتابه « نقد الشعر » كثيراً من موضوعات البلاغة ، وابن
وهب الكاتب الذي تحدث في البيان الثالث من كتبه
« البرهان في وجوه البيان » عن بعض مسائل البيان ، وأبي
هلال العسكري الذي رتب موضوعات البلاغة ترتيباً علمياً
دقيقاً في « كتاب الصناعتين » الذي يعد نقطة تحول النقد
ومقاييسه الذوقية إلى علم يعتمد على القواعد البلاغية
أكثر من اعتماده على الاحساس

الفني . ومنهم أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين
ابن ناقي البغدادي الذي تحدث عن فن التشبيه في كتابه
« الجمان في تشبيهات القرآن » ، وابن شيث القرشي
الذي تكلم على كثير من موضوعات البلاغة في كتابه « معالم
الكتابة ومغانم الاصابة » . وكان ضياء الدين بن الاثير
من أكثر الكتاب أثرا في البلاغة فقد ألف عدة كتب فيها ،
ولكن كتابيه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »
و « الجامع الكبير » من أروع ما ألف في هذا الفن .
وتجلى أهمية ابن الاثير البلاغية في أنه مارس الكتابة زمنا
طويلا وكان من أبرز الكتاب في عهد الدولة الايوبية ، وقد
انعكست تلك الممارسة في كتبه التي كانت صورة صادقة
لموهبته الفنية وقدرته العلمية في العرض والتنسيق .
وقد أثار حركة بلاغية ونقدية فكتب ابن أبي الحديد كتابه
« الفلك الدائر على المثل السائر » ووضع صلاح الدين
خليل بن أيبك الصفدي كتاب « نصرة الشاعر على المثل
السائر » . ومن الكتاب الذين أثروا في البحث البلاغي شهاب
الدين محمود الحلبي صاحب « حسن التوصل الى صناعة
الترسل » وقد جمع فيه بين الطريقة العلمية والطريقة
العملية ، أي أنه استفاد من قواعد البلاغة في صناعة
الترسل . واستفاد منه القلقشندي ونقل كتابه في الجزء
السابع من موسوعته « صبح الأعشى في صناعة الانشاء » (٢١) .

ويتصل بالشعراء والكتاب بعض النقاد الذين أثروا
في البلاغة كأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبائي

صاحب « عيار الشعر » ، وأبي القاسم الحسن بن بشر
ابن يحيى الأمدى مؤلف « الموازنة بين شعر أبي تمام
والبحراني » ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني
صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » . ويختلف
هؤلاء في معالجة قضايا البلاغة عن البلاغيين ، ذلك أنهم
لم يتخذوا هذا الفن غاية وإنما وسيلة لفهم الشعر
والوقوف على ما فيه من روعة وجمال (٢٢) .

ويتصل بالشعراء والكتّاب أيضا أصحاب
البديعيات الذين نظموا قصائد في مدح الرسول محمد -
صلى الله عليه وسلم - على غرار البردة للبوصيري وقد
ضمنوها فنون البلاغة . ومن أشهرهم صفي الدين
الحلي وابن جابر الأندلسي وعزالدين الموصلي وابن حجة
الحموي وجلال الدين السيوطي وعائشة الباعونية وابن
معصوم المدني وعبد الغني النابلسي . وقد شرح بعضهم
بديعته ، وأهم تلك الشروح « خزانة الأدب » للحموي
و « أنوار الربيع في أنواع البديع » لابن معصوم (٢٣) .

الرابع : الفلاسفة والمتكلمون وقد كانت البلاغة أحد
الميادين التي دخلتها الفلسفة وعلم الكلام ، وأدى الأمر
إلى انتهاء البحث البلاغي إلى ضروب من الخلاف
والمناقشة تعقد لها مجالس المناظرة ويقعد لها المحكمون
بين سعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني
حين يتناظران في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية
وعدم اجتماعهما وكأنهما يتناظران في مشكل من أصول

القوانين أو معضل من مسائل الفلسفة ، وينهزم سعد الدين ويموت كمدا وضحية للفلسفة في البلاغة . وقد كان ذلك بعد أن استوت البلاغة وأصبحت علما له قواعده وأصوله ومناهجه وكتبه ، وبعد أن ماتت المواهب والملكات وفسد الذوق . أما في عهد ازدهار الأدب فقد كان الاتجاه الفلسفي والكلامي يلقي مقاومة عنيفة ، وقد تحدث ابن قتيبة في مقدمة كتابه « أدب الكاتب » عن خطر الفلسفة والمنطق والعلوم العقلية على ناشئة الكتاب وهاجم هذه العلوم ودعا إلى الأخذ بالمنهج العربي الأصيل ، وهو منهج يقوم على القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر (٢٤) . وهاجم أبو سعيد السيرافي المنطق في المناظرة التي جرت بينه وبين متي بن يونس القنائي الفيلسوف في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات (٢٥) . وامتدح الأمدى في موازنته بين الطائيين طريقة العرب في الشعر ، وصرخ البحتري الشاعر متبرها بالمنطق قائلا :

كلفتمونا حدود منطقكم

في الشعر يكفي عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يهيج بالـ

منطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمح تكفي أشارته

وليس بالهذر طولت خطبه

وثار ضياء الدين بن الاثير على أساليب الفلسفة
ورأى في أعيانها من أمثال الفارابي وابن سينا رجالات
اضلهم أرسطو وأفلاطون ، وأشار الى حصر اليونان
للمعاني الخطابية غير أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ،
ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من
التفريعات التي لا نهاية لها ، وليس في ذلك الحصر كبير
فائدة (٢٦) .

ولكن الفلسفة وعلم الكلام والمنطق أثرت في البلاغة
العربية وتسربت الى مناهجها وحدودها وتقسيماتها
وامتلأت كتبها بالالفاظ الفلسفية والحدود المنطقية
والنزعة الكلامية ، وقد تجلى ذلك بوضوح بعد جنوح
الادب الى التقليد وسيطرة النزعة العقلية على مقاييسه
البلاغية والنقدية : ولعل فخر الدين الرازي كان من أوائل
الذين اتجهوا بالبلاغة وجهة فلسفية وذلك حينما وضع
كتابه « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » ، وتبعه في ذلك
سراج الدين يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي في
كتابه « مفتاح العلوم » الذي أفرد القسم الثالث منه
للكلام على البلاغة وقسمها الى علمي المعاني والبيان
والحق بهما وجوه البديع ، وربط البحث البلاغي
بالاستدلال وأسرف في الحدود والتقسيمات وضبط
القواعد والاقلال من الامثلة . وكان « مفتاح العلوم »
أيذا بتوقف البحث البلاغي ، فقد لخص القسم الثالث
منه بدر الدين بن مالك في كتابيه « روض الازهان في علم

البيان « و « المصباح » ، وسار على خطاه الخطيب
القزويني في كتابه « التلخيص » الذي أسرف في الإيجاز ،
واضطر لذلك الى شرحه في « الايضاح » وتوالت الشروح
فكان « عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء
الدين السبكي ، و « الشرح المختصر » و « الشرح
المطول » لسعد الدين التفتازاني ، و « الشرح الاطول »
للاسفراييني و « مواهب الفتاح » لابن يعقوب
المقري ، و « جاشية المختصر » لمحمد بن عرفة الدسوقي .
وهذه الشروح تلتقي في منهج واحد وهو منهج يقوم
على تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة : المعاني والبيان
والبديع ، وتتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام سبيلا
لبحث موضوعاتها . وقد أدى ذلك الى أن تبتعد البلاغة
عن وجهتها التي من أجلها نشأت ، وأصبحت ميدانا
لعرض القضايا العقلية والخلافات الفلسفية ، حتى قيل
ان هذه الشروح ضمت كل شيء الا البلاغة .

ومن الذين تأثروا في بحثهم البلاغي بالفلسفة والمنطق
يحيى بن حمزة العلوي مؤلف كتاب « الطرائف المتضمن
لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ، وأبو عبد الله محمد
ابن عمرو التنوخي صاحب « الاقصى القريب في علم
البيان » ، ولكن هذين المؤلفين لم يقعا في سلك
الفلسفة كما وقع الآخرون لما لهما من حسن أدبي مرهف
وذوق يدرك الجمال ، ولولا ذلك لأصبح كتاب العلوي

خاصة معرضا للنزاع العقلي وعرض الآراء الاعتزالية
والذود عنها (٢٧) .

وفي البلاغة العربية ظهر مؤلفان استفادا من المنطق
الارسطوطاليسي ومن كتب الفلاسفة المسلمين ، وهذان
العالمان هما : أبو الحسن حازم القرطاجني صاحب
« منهاج البلغاء وسراج الأدباء » الذي كان أقرب إلى
أصول البلاغة أو فلسفتها ، وقد جنح فيه مؤلفه إلى
طريق من النظر الحكمي وتطبيق نظريات أرسطو وآرائه
في الأدب العربي ، ووضع مصطلحات لم يألفها البحث
البلاغي عند العرب مثل « معلم » و « أضاءة » و « تنوير »
و « معرف » .

والثاني أبو محمد القاسم السجلماسي صاحب
« المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » الذي عالج
الموضوعات البلاغية بطريقة علمية دقيقة ، وذلك بأنطلاقه
في تحديد كل نوع بلاغي من مصطلحين هما : الموطي
والفاعل ، ويقصد بالاول المعنى أو القاسم المشترك
الذي يضم التفرعات اللاحقة المتولدة مباشرة ، ويريد
بالثاني القانون العلمي النظري العام الذي يمثل القاسم
المشترك بين المصطلحات التي تلتحم في وضعها الفلسفي
المنطقي بدلالاتها النقدية والبلاغية وفق نظام لفوي محدد
وقسم البلاغة إلى عشرة أقسام هي : الإيجاز ، والتخييل
والإشارة ، والمبالغة ، والرصف ، والمظاهرة ، والتوضيح ،

والإتساع ، والانشاء ، والتكرير . وأدخل في هذه
الأقسام العشرة ما يتصل بها من موضوعات . وهذا
التقسيم واسلوب عرضه جديد في البحث البلاغي
وتبدو فيه النزعة العقلية المتأثرة بالدراسات الفلسفية
والمنطقية .

وممن يتصل بهذه العالمين ابن البناء المراكشي صاحب
« الروض المريع في صناعة البديع » وليس من السهل
معرفة منهجه بدقة لان كتابه لا يزال مخطوطا ، وان أشار
اليه بعض الدارسين (٢٨) .

الاتجاهات

كانت العوامل المؤثرة في البلاغة كثيرة منها الادبية اللغوية ومنها الفلسفية الكلامية ، وقد ادى ذلك الى اختلاف في المؤثرات الى أن تتجه البلاغة اتجاهين اطلق عليهما اسم « المدرسة الكلامية » و « المدرسة الادبية » . وأمر هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم وقد نبه أبو هلال العسكري الى منهجين في دراسة البلاغة وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، فلهذا لم أطل الكلام في هرم الفصل » (١) وقال جلال الدين السيوطي وهو يترجم لنفسه : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني والبيان ، والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة » (٢) . ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما صرح أبو هلال بها منذ وقت مبكر ، وافتخر السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . فمما خصائص كل من المدرستين ، وما أهم كتبهما ، ومما أشهر رجالهما ؟

الأولى : المدرسة الكلامية ، وقد ظهرت نتيجة الأثر الكبير لعلوم الفلسفة والمنطق في الثقافة الإسلامية والعربية ، وكان البلاغة نصيب من ذلك الأثر فتوثقت الصلة منذ عهد مبكر بينهما وبين العلوم العقلية وبلغ أوج ذلك الاتصال في القرن السادس للهجرة وما بعده على يد السكاكي صاحب « مفتاح العلوم » والخطيب القزويني صاحب « التلخيص » و « الإيضاح » وشرح التلخيص . وهذه الصلة الواضحة جعلت المرحوم أمين الخولي يقول : اننا لو أنعمنا النظر ومضينا في التقصي لوجدنا تأثر البلاغة بالفلسفة وفروعها من المنطق والكلام قويا بعيد المدى في نشأة البلاغة وظهورها ، وفي تطورها وسير دراستها ، وفي ضبط بحوثها وتحديد دائرة درسها ، وفي تعيين غرضها ونهايتها (٢) : وهذه حقيقة تظهر عند النظر في مؤلفات هذه المدرسة التي من أول سماتها العناية بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا . ثم استعمال أساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستعمال الألفاظ الفلسفية والمنطقية .

وقد ساق البلاغيون كثيرا من المقولات عند الكلام على الملكة حين وردت في تعريف الفصاحة والبلاغة وما صدروا به البيان من بحوث الدلالات الوضعية والعقلية . وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية

والإلهية والخلقية كالكلام في الألوان والطعوم والحواس
الإنسانية ومقرها والوهم والخيال والمفكرة والحس
المشترك والأسباب والمسببات . وأدخلوا فيها من
الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول والموضوع والإيجاب
والسلب وغير ذلك من المصطلحات التي لا علاقة لها
بالبلاغة بقدر علاقتها بالعلوم العقلية . وقد اعترف
كثير من البلاغيين بذلك ولكنهم كانوا يذكرونها خشية أن
يوسموا بالجهل ، أي أن حشرها كان نوعا من التعامل
أو اظهار المعرفة بالثقافات السائدة .

لقد حددوا البلاغة بهذه المقاييس وضبطوا مباحثها
بهذه الاعتبارات العقلية التي أزهقت روح البلاغة
وأحالتها قواعد جامدة ، وبذلك نشأ الجدل العنيف
والنقاش الحاد في كتب البلاغة فأخرجها عن هدفها
الفني . ومن يقرأ كتب المتأخرين ولاسيما شروح
التلخيص يجد هذه الظاهرة واضحة جلية ، ويجد
أن أحكام المدرسة الكلامية بعيدة عن الروح الأدبية
المعتمدة على الذوق الأدبي والاحساس الفني الصادق .
ومن مظاهر الأثر الفلسفي في هذه المدرسة
الانحلال من الشواهد والأمثلة الأدبية ، لأن رجالها
اهتموا بالتحديد المنطقي والحصص والتقسيم فكانوا
يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا أو مثالا قصيرا أو
بعض الشواهد والأمثلة التي خلت من الجمال أو
المسحة الفنية ، لأن الهدف هو التمثيل والاستشهاد

العقلي لا ما يثيره النص في النفس من انفعال أو شعور .
ولعل اهتمام المتأخرين بالاختصار وتلخيص الكتب
المتقدمة كان سببا في الاقلال من الشواهد والامثلة
والاكتفاء بأقلها وأقصرها وبما ينسجم مع أذواقهم التي
سيطرت عليها النزعة الكلامية والصنعة البديعية ،
ولذلك بقي تمثيلهم منحصرًا في الجملة أو الجملتين ولم
يتجاوزها إلى القطع الأدبية التي تكون وحدة فنية ،
وترسم صورًا تزخر بالمعنى وتثير الاحساس بالجمال .

وقد شاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية
من الدولة الإسلامية حيث يقطن خليط من الفرس
والترك والتتر ومن اليهم من الاقوام غير العربية .
وكانت خوارزم أكبر المناطق التي ظهر فيها أقطاب هذه
المدرسة كجارالله الزمخشري صاحب « الكشاف »
وفخرالدين الرازي مؤلف « نهاية الإيجاز في دراية
« الإعجاز » وأبي الفتح ناصر بن أبي المكارم المطرزي مؤلف
كتاب « الإيضاح في شرح مقامات الحريري » والسكاكي
صاحب « مفتاح العلوم » وسعد الدين التفتازاني شارح
تلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني . واستطاعت
هذه المدرسة السيطرة على الدراسات البلاغية بعد
عبدالقاهر الجرجاني وبلغت ذروتها في عصور الشروح
والتلخيصات .

وأهم كتب هذه المدرسة : نقد الشعر لقدامة بن
جعفر ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب -

وهو المطبوع بأسم نقد النثر والمنسوب إلى قدامة -
ودلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ، ونهاية الايجاز
للرازي ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمصباح لبدرالدين
ابن مالك ، وتلخيص المفتاح والايضاح للخطيب القزويني ،
وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاءالدين
السبكي ، والمختصر والمطول لسعدالدين التفتازاني ،
ومواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب
المغرببي ، وغيرها من الكتب التي سارت على منهج
السكاكي والقزويني حتى هذا العصر .

الثانية : المدرسة الادبية ، وقد ظهرت نتيجة
عوامل أخرى غير الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، وكان
من أهمها القرآن الكريم الذي طبع بحوث البلاغة بطابع
أدبي ، ويتجلى ذلك في كثرة الشواهد التي اقتبسها
البلاغيون من كتاب الله . وكان للكتاب أثر واضح فقد
صيغوا كثيرا من مباحث البلاغة بصيغة أدبية . وكان
للشعراء دور كبير أيضا فقد شاركوا في التأليف وكان
الشاعر ابن المعتز من أوائل الشعراء الذين وضعوا
كتبا فيها ، وما كتابه « البديع » إلا واحدا من تلك
الكتب التي ألفها الشعراء خلال القرون الماضية . وقد
طبعت هذه المؤثرات - القرآن والكتاب والشعراء -
البلاغة بطابع أدبي ، وكانت نتيجة ذلك ان اتجهت اتجاهها
آخر وسلكت طريقا بعيدا عن المدرسة الكلامية . وهذا

الاتجاه الذي سارت البلاغة فيه هو الذي ارسى قواعد
المدرسة الادبية ووطد اركانها .

ومن خصائص هذه المدرسة الابتعاد عن التحديد
والتقسيم ، وإن جنحت الى ذلك فعلى غير تعمق ونفاذ
والتزام للتصحيح التام للاصول المنطقية ، إلا ان
يكون شيء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلامية .
ولم تهتم بأقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة وإنما
نبذتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ضياء الدين بن
الاثير أحد أقطابها الذين حملوا حملة عنيفة على
الفلسفة ورأى في أعلامها من أمثال ابن سينا والفارابي
رجالا أضلهم أرسطو وأفلاطون ، قال : « أعلم أن ذلك
الحصر كلي لا جزئي ، ومحال أن تحصر جزئيات المعاني
وما يتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها . لا جرم أن
ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا
يفتقر اليه ، فإن البدوي البادي راعي الأبل ما كان يمر
شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فإنه كان
يأتي بالسحر الحلال أن قال شعرا أو تكلم نثرا » (٤) .
وقال : « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق
الكلام الى شيء ذكر لابي علي بن سينا في الخطابة والشعر ،
وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذا ،
وقام فأحضر كتاب الشفاء لابي علي ووقفني على ما ذكره ،
فلما وقفت عليه استجهلته فإنه طول فيه وعرض كأنه
يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد

به صاحب الكلام العربي شيئاً . ثم مع هذا جميعه فان
محول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي انه يورد على
مقدمتين ونتيجة ، وهذا مما لم يخطر لابي علي بن سينا
فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع ، فان له شيئاً من
ذلك في كلامه ، وعند افاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر
المقدمتان والنتيجة له ببال ، ولو انه فكر أولاً في المقدمتين
والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء
ينتفع به ولطال الخطب عليه ، بل أقول شيئاً آخر
وهو ان اليونان انفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم
لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ولا
نتيجة ، وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنعات
كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال ليس لها طائل
كأنها شعر الابيوردي « (هـ) . ويتضح هذا الابتعاد عن
الفلسفة والمنطق وعلم الكلام في معظم كتب المدرسة
الأدبية مثل كتب أسامة بن منقذ وابن الاثير وابن أبي
الاصبع المصري .

ومن خصائص هذه المدرسة انها تستعمل المقاييس
الفنية في الحكم على الادب ، ولذلك تعلل مرة ولا تستطيع
التعليل مرة أخرى ، وترجع الحسن والجمال الى الذوق
والاحساس الفني . وكان أسلوب كتبها وعباراتها سهلة
واضحة لاتحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في
قراءة كتب المدرسة الكلامية ، وسبب ذلك ان معظم
رجالها عاشوا في بيئات عربية كالقراق والشام ومصر

والمغرب ، وكانوا الى جانب ذلك شعراء أو كتابا لهم
ذوق أدبي واحساس فني مرهف . فالحافظ مع أنه
معتزلي متكلم كان أدبيا كبيرا ، وابن المعتز كان شاعرا
أصيلا ، وأبو هلال العسكري وضياء الدين بن الأثير
وشهاب الدين الحلبي كانوا كتابا . أما رجال المدرسة
الكلامية فقد عاشوا في بيئات فارسية أو تركية أو
تترية فغلبت على كتبهم العجمة وسيطر على
أساليبهم التعقيد ، ولم يكونوا شعراء أو كتابا وإنما
عرفوا بالمنطق وعلم الكلام والعلوم العقلية التي تعنى
بالدقة والضبط أكثر من عنايتها بجمال العبارة وتأثيرها
في النفوس .

وتتسم المدرسة الأدبية بالاكثار من الشواهد
والأمثلة ، وكان المؤلفون يذكرون القاعدة بسطر أو
سطين ويأتون بالأمثلة التي تتجاوز الصفحات . ولم
تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت الشعر وإنما
تعدتها الى القطعة الشعرية والرسالة الأدبية ، ويتضح
هذا في جميع كتب المدرسة ، فأبن المعتز - مثلا - يذكر
تعريف الاستعارة أو التجنيس ويورد بعد ذلك أمثلة كثيرة
ويفرق بين حسنها وروديئها . وأبو هلال ينحو هذا المنحى
في « كتاب الصناعتين » وإن بدأ في الكتاب شيء من المنهج
العقلي في التقسيم والحصر والتبويب . وأسامة بن
منقذ يتبع طريقة ابن المعتز فيكتفي بالتعريف الموجز ،
ثم يورد الأمثلة الكثيرة .

وسادت المدرسة الادبية في المناطق الوسطى من الدولة الاسلامية اي في العالم العربي كالعراق ومصر والشام والمغرب . وأهم كتبها التي تعرب عن حركتها وآراء رجالها كتاب البديع لابن المعتز ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، والعمدة لابن رشيق القيرواني ، وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ، والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر والجامع الكبير لضياء الدين بن الاثير ، وبديع القرآن وتحرير التعبير لابن أبي الاصبغ المصري .

وعد المرحوم أمين الخولي من رجال هذه المدرسة بهاء الدين السبكي صاحب « عروس الافراح » (٦) ونكن كتابه يبتعد كثيرا عن النزعة الادبية في منهجه ومادته ، فقد حشر فيه مسائل كثيرة لا صلة لها بالبلاغة وأكثر من علم الاصول اكثارا عظيما ، وذكر تقسيمات كثيرة ينفر منها الدارس مع انه انتقد أهل المشرق ومنهجهم البلاغي فقال : « أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله - تعالى - عليه من الذوق السليم وانفهم المستقيم والاذهان التي هي أرق من النسيم والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الحلوة وأشار اليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء - فضلا عن الأغمار - الأعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار » (٧) ولكن السبكي

على الرغم من احساسه بهذه الحقيقة لم يسر على المنهج الادبي الذي يتعد عن حشر الفلسفة ومسائلها في البلاغة وإنما اتجه اتجاه المدرسة الكلامية في تقسيم البلاغة الى معان وبيان وبديع ، وادخال علم الاصول وعلم المنطق والفلسفة في مباحثها ، والاهتمام بالتقسيم والتحديد .

ويتصل بالمدرسة الادبية ما أطلق عليه مذهب مصر والشام (٨) ، وهو مذهب اتضح في القرن السادس للهجرة وما بعده في هاتين البيئتين العربيتين ، وكان هذا الاتجاه يختلف كل الاختلاف عن مذهب المشاركة الذي اهتم اعلامه بوضع القواعد المنطقية والحدود الجامعة المانعة ، والابتعاد عن المقاييس الادبية في النقد والموازنة والتحليل . لقد كان أهل مصر والشام يميلون الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد ، والاهتمام بصور البديع وما توحيه من انفعالات نفسية تتعلق بالاحساس الفني والوجدان . ومن أشهر اعلام هذه البيئة ابن سنان صاحب « سر الفصاحة » واسامة بن منقذ مؤلف « البديع في نقد الشعر » وابن شيث القرشي صاحب « معالم الكتابة ومفانم الاصابة » ، وابن الاثير صاحب « المثل السائر » و « الجامع الكبير » وابن الزمكاني مؤلف « التبيان في علم البيان » و « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » وابن أبي الاصبع المصري صاحب « بديع القرآن » و « تحرير التعبير » .

وأهم ما يلاحظ من خصائص هذا المذهب أن رجاله لم يقسموا البلاغة إلى علومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وإنما بحثوها بمناهج أخرى وكان لكل رجل أسلوبه وطريقته في العرض والتحديد . ولم يولع رجال هذا الاتجاه بالتحديد الجامع المانع مع أن السكاكي معاصر ابن الأثير كان قد اهتم بذلك اهتماما كبيرا ووضع المصطلحات البلاغية وضعا دقيقا يعتمد على المنطق والاسلوب الفلسفي الدقيق . وانصرف رجال هذا الاتجاه عن الفلسفة والمنطق في العرض والتحليل ، وكان الذوق عمدتهم في ذلك . وأستحدثوا فنونا جديدة تمثل البيئة ، ومن ذلك ما ذكره ابن أبي الأصبع المصري من فن النزاهة ، وهو عنده نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره عن الفحش ، وفن التدبيج ، وفن التندير وغيرها مما أضافه هذا الرجل إلى البلاغة العربية (٩) .

أن مذهب مصر والشام لا يمثل مدرسة ثالثة وإن بحث ، وإنما هو ركن من أركان المدرسة الأدبية التي امتدت من القرن الثاني للهجرة حتى القرن السابع وما بعده بقليل . وهذا يوضح أن الذوق والاحساس الفني والنزعة الأدبية لم تمت مع جنوح الحياة الأدبية إلى التقليد وسيطرة المناهج الفلسفية على الدرس البلاغي والنقدي . ولعل ابن الأثير وابن أبي الأصبع المصري يمثلان قمة المدرسة الأدبية في القرن السابع للهجرة وقد عاشا في مصر والشام .

هاتان هما المدرستان البلاغيتان ، وقد اتضحت لكل منهما سمات وافردت لها كتب ، ولكن هل هناك حد فاصل بين الذين اتبعوا الطريقة الكلامية والذين نهجوا سبيل المدرسة الادبية ؟ ليس ذلك بالواضح ، فكثيرا ما يمزج البلاغي الواحد بين الطريقتين ، ويستفيد من المدرستين ، فالجاحظ - مثلا - وهو رأس فرقة اعتزالية سميت « الجاحظية » يميل الى الناحية الادبية ويحكم الذوق في كثير من الاحيان ، وأبو هلال العسكري مع اقراره انه لن يتبع طريقة المتكلمين يتجه نحوهم في تقسيماته وتبويبه ويجري في مضمارهم . وكان عبدالقاهر الجرجاني يميل مرة الى المدرسة الكلامية في كتابه « دلائل الاعجاز » ويتجه الى المدرسة الادبية في كتابه « اسرار البلاغة » فهو في الاول يجادل جدلا منطقيا ويكرر اساليب اهل الكلام ، ولعل سبب ذلك انه يبحث في اعجاز القرآن الكريم ويقارع اهل النحل الزائفة ويرد اقوالهم ويفند آراءهم . وهو في كتابه الثاني اديب بليغ يعمد الى التحليل واظهار ما في الكلام من بلاغة وجمال ، ولم يكن في ذلك ما يدعو الى الاستعانة بالاساليب العقلية لانه ليس بصدد البرهنة على الاعجاز والرد على الطاعنين ببلاغة القرآن ، وإنما هو بصدد تحليل كلام العرب والوقوف على اسرارها ، وليس في ذلك ما يدعو الى الحجج العقلية والادلة المنطقية (١٠) .

وممن جمعوا بين المدرستين يحيى بن حمزة العلوي في كتابه « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز » فهو في القسم الأول يسير على منهج أدبي واضح فيه التحليل والاكثار من الأمثلة ، وهو في القسم الثاني يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف مسائل البلاغة وتقسيمها الى معان وبيان وبديع ، ولعل سبب ذلك انه في القسم الأول يتحدث عن كلام العرب وأسس نقده ، وفي القسم الثاني يتكلم على اعجاز القرآن ، وهو في هذا يشبه عبد القاهر الذي اتخذ من المنطق والحجج العقلية أساسا في كتابه « دلائل الاعجاز » ومن الذوق والنزعة الفنية منهجا في كتابه « أسرار البلاغة » : يضاف الى ذلك أن مصادر العلوي جمعت بين كتب المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية ، قال وهو يتحدث عن البيان : « ولم أطلع من الدواوين المؤلفات فيه مع قلتها ونزورها الا اكتبة اربعة : اولها كتاب « المثل السائر » للشيخ أبي الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير ، وثانيها كتاب « التبيان » للشيخ عبد الكريم ، وثالثها كتاب « النهاية » لابن الخطيب الرازي ، ورابعها كتاب « المصباح » لابن سراج المالكي . وأول من أسس من هذا العلم قواعده وأوضح برأيه وأظهر فوائده ورتب أفانيه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد وهد من سطور المشكلات

بالتسوير المشيد ، وفتح أزهاره من أكمائها ، وفتح
أزهاره بعد استغلاقتها واستبهاها . فجزاه الله عن
الاسلام أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر
النصيب والجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان
أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز والآخر لقبه بأسرار
البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبهما
وشدة إعجابي بهما إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم
منهما « (١١) » . فالمثل السائر وأسرار البلاغة يمثلان
الاتجاه الأدبي ، وقد كان للكتاب الأول تأثير كبير في
الطراز . ونهاية الإيجاز والمصباح ودلائل الإعجاز تمثل
النزعة الكلامية وتقسيم البلاغة إلى مباحثها المعروفة
ومعالجتها بأسلوب عقلي ، وقد كان لهذه الكتب
نصيب كبير في تقسيم العلوي لمباحث البلاغة وبحث
أقسامها . والتبيان من الكتب التي جمعت بين دلائل
الإعجاز وأسرار البلاغة ، فهو كلامي أدبي ، وبذلك
تلون كتاب الطراز للعلوي بهذين اللونين مع أنه عاش
في عهد سيطرت فيه النزعة الفلسفية وساد المذهب
الاعتزالي في البيئة التي عاش فيها يحيى بن حمزة
العلوي وهي بيئة اليمن .

لقد اتضح الاتجاهان ويدخل فيهما كل مذهب
بلاغي أو نقدي آخر على الرغم من الخصائص العامة
التي امتازت بها البيئات العربية والإسلامية ، ومع أن
تعدد المذاهب ظهر في العصور المتأخرة غير أن وحدة

البحث تبلورت في اتجاهين أو مدرستين هما : المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية . وليظهر الفرق بين الاتجاهين وأضحى لابد من عرض مثال يصور البحث البلاغي في القرن السابع للهجرة وهو القرن الذي قسمت فيه البلاغة الى علومها الثلاثة ودخلتها المقاييس الكلامية والتحديدات المنطقية والنزعات العقلية : وخير من يمثل الاتجاهين في القرن السابع السكاكي صاحب « مفتاح العلوم » وابن الأثير صاحب « المثل السائر » .

قسّم الأول البلاغة الى علمين متميزين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وحصر موضوعات كل علم حصراً منطقياً ، الحق بهما البديع الذي عده وجوهاً يؤتي بها لتزيين الكلام ، وأدخل الأساليب الكلامية والفلسفية في معالجة القضايا وأسرف في الإيجاز . وقسّم الثاني البلاغة أو البيان الى الصناعة اللفظية وهي الالفاظ وبعض فنون البديع كالسجع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم مالا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الالفاظ في السبك . والصناعة المعنوية وهي الاستعارة ، والتشبيه ، والتجريد ، والالتفات ، والإيجاز ، والاطناب ، والتكرير ، والكناية ، والتضمين ، والسرقات وغيرها . ولم يحصر الموضوعات حصراً منطقياً دقيقاً ولم يدخل الأساليب الكلامية والفلسفية في بحث القضايا ، لأنه كان ثائراً على

تلك الاساليب وكان يعد ابن سينا والفارابي وغيرهما
رجالا اضلهم ارسطو وأفلاطون .

هذه نظرة عابرة في منهج كل واحد من الرجلين ،
أما معالجة الموضوعات فتتضح في عرض الاستعارة
عندهما . بدأ السكاكي هذا الفن الذي أدخله في علم
البيان بتعريفه قائلا : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه
وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس
المشبه به دألا على ذلك بأثباتك للمشبه ما يخص المشبه
به » (١٢) . ويدخل في هذا التعريف القسمان الأساسيان
للاستعارة وهما : الاستعارة التصريحية والاستعارة
المكنية . وقد أوضح ذلك بالتمثيل الذي ذكره بعد
التعريف فقال : « كما تقول في الحمام أسد ، وأنت
تريد به الشجاع مدعيا أنه من جنس الأسود ، فتثبت
للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد
طريق التشبيه بأفراذه في الذكر » وهذا مثال التصريحية ،
أما المكنية فمثالها كما قال : « أو كما تقول إن المنية
أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع بأدعاء السبعية
لها وإنكار أن تكون شيئا غير سبع ، فتثبت لها ما يخص
المشبه به وهو الأظفار » . ثم تحدث عن سبب تسمية
هذا النوع من المجاز استعارة وتعرض لما ذكره عبد القاهر
من دخول الاستعارة في المجاز العقلي أو المجاز اللفوي .
وقسمها إلى عدة أقسام ، قال : « أن الاستعارة تنقسم
إلى مصرح بها ومكني عنها ، والمراد بالاول هو أن يكون

الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به ، والمراد
بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه . والمصرح بها
تنقسم الى حقيقية وتخيلية والمراد بالتحقيقية أن يكون
المشبه المتروك شيئا متحققا اما حسيا واما عقليا ،
والمراد بالتخيلية أن يكون المشبه المتروك شيئا وهميا
محضا لا تحقق له الا في مجرد الوهم ، ثم تنقسم كل
واحدة منهما الى قطعية ، وهي أن يكون المشبه المتروك
متعين الحمل على ما له تحقق حسي أو عقلي ، أو على
ما لا تحقق له البتة الا في الوهم . وإلى احتمالية ، وهي
أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ماله
تحقق ، وأخرى على ما لا تحقق له . فهذه أقسام أربعة :
الاستعارة المصرح بها الحقيقية مع القطع ، الاستعارة
المصرح بها التخيلية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها
مع الاحتمال للتحقيق والتخيل ، الاستعارة بالكناية .
ثم ان الاستعارة ربما قسمت الى أصلية وتبعية ، والمراد
بالأصلية أن يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا
أوليا ، والمراد بالتبعية ان لا يكون داخلا دخولا أوليا، وربما
لحقها التجريد فسميت مجردة أو الترشيح فسميت
مرشحة » (١٢) . ثم تكلم على هذه الاقسام الثمانية ،
وذكر لكل واحد أمثلة قليلة ، ومعظم هذه الأمثلة مقتطع
من أمثلة عبد القاهر الجرجاني . ومن ذلك قول زهير بن
أبي سلمى وهو من شواهد الاستعارة المصرح بها المحتملة
للتحقيق والتخيل :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعصري أفراس الصبا ورواحله

قال السكاكي : « أراد أن يبين انه أمسك عما كان يرتكب أو ان الصبا وقمع النفس عن التلبس بذاك معرضا الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال : « وعصري أفراس الصبا ورواحله » أي : ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج اليها في الركوب والارتكاب قائمة كأيما نوع فرضت من الانواع حرفة أو غيرها متى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب رأسا عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه فتقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات والادوات ، فترى يد التعطيل تستولي عليها فتهلك وتضيع شيئا فشيئا حتى لا تكاد تجد في أدنى مرة أثرا منها ولا عثرا ، فبقيت لذلك معرأة لا آلة ولا أداة . فحق قوله : « أفراس الصبا ورواحله » أن يعد استعارة تخيلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطر من تنزيل « أفراس الصبا ورواحله » منزلة أنياب المنية ومخالبها . وأن كان محتمل احتمالا بالتكلف أن تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو عن الاسباب التي قلما تتأخذ في اتباع الغي وجر أذيال البطالة الا أو ان الصبا « (١٤) » .

وبدا ابن الاثير بحث الاستعارة بالكلام على رجوعها الى المعنى لا الى اللفظ كالتجنيس وقسم المجاز الى قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه ضربان : تشبيه تام وتشبيه محذوف ، فالتشبيه التام أن يذكر المشبه به ، ويسمى استعارة . و الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الاداة ، وعرف الاستعارة بقوله : « والذي عندي من ذلك أن يقال : حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه ، لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه : وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهراً ومضمراً وتجيء الى المشبه فتعيره اسم المشبه به وتجريه عليه (١٥) . ولم يقسم الاستعارة الى التصريحية والمكنية والتخييلية والتحقيقية وغير ذلك مما ذكره السكاكي وإنما تحدث عن أقسام المجاز التي ذكرها الامام الفراءى وقال انها ترجع الى ثلاثة أنواع : التوسع والتشبيه والاستعارة . ثم بدأ بالامثلة التي يستفيد منها المتعلم مالا يستفيدة ذكر الحد والحقيقة ، وهي أمثلة كثيرة بدأها بقوله تعالى : « الر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » (١٦) وقال : « فالظلمات والنور استعارة للكفر والايمان ، أو للضلال والهدى ، والمستعار له مطوي الذكر كأنه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة الى الايمان الذي هو كالنور » (١٧) .

وهذا تحليل واضح لقوله تعالى يبين الاستعارة فيه من غير استخدام الاساليب العقلية أو الكلامية في العرض والتحليل وقال معلقا على أبيات ديك الجن .

لما نظرت اليّ عن حدّق المها
وبسمت عن متفتح النوار

ومقدت بين قضيب بان أهيف
وكثيب رمل عقدة الزنار

عفرت خدي في الثرى لك طائعا
وعزمت فيك على دخول النار

« وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولان يسمى قائلها شحرورا أولى من أن يسمى ديكا » (١٨) .
وقال عن بيت ديك الجن :

واقحسوان بفيك منتظم
على شبيهه من رائق الخمر

« المستعار له هو الثغر والريق » (١٩) . وقال عن بيت البحتري :

وصاعقة في كفه تنكفي بها
على أنوس الأعداء خمسن سحائب

« وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته ، والمراد

بالسحائب الخمس الاصابع « (٢٠) . وكان السكاكي قد قال عن هذا البيت : « أنظر حين أراد استعارة السحائب لانامل يمين الممدوح تفريعا على ما جرت به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال أخرى ماذا صنع ؟ ذكر أن هناك صاعقة ثم قال : « من نصله » (٢١) فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه ، ثم قال : « على رؤوس الاقراان » ثم قال : « خمس » فذكر العدد الذي هو عدد جميع انامل اليد ، فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحائب للانامل « (٢٢) . وهذا الشرح أكثر توضيحا من كلام ابن الاثير ، وأقرب الى مدارك المتعلمين ، وأن كان الاول يمس الجانب الفني مسا رقيقا ويترك السامع يسبح في الخيال .

وتظهر الموازنة بين السكاكي وابن الاثير في بحث الاستعارة أن الاول يميل الى الحد الجامع المانع وهو مهم في الدراسة العلمية ، وأن الثاني يوميء الى معنى الاستعارة من غير ضبط لاركانها وتحديد لاقسامها . وتبدو استفادة السكاكي من المصطلحات العلمية في تقسيم الاستعارة فهو يذكر التحقيق والتخييل ، والاصيلي والتبعي ، والتصريح والكنائية ، والقطع ، والحمل ، والحسي والعقلي ، وليس في كلام ابن الاثير شيء من ذلك لانه ينفر من هذه التقسيمات والمصطلحات التي لا تخدم الفن الادبي .

ويبدو الجور على الناحية الادبية في شواهد السكاكي وامثله ، فهو لم يذكر الا أبياتا قليلة للاستعارة بأنواعها الثمانية ، وذكر ابن الاثير عشرات الابيات الشعرية والقطع التي تجاوزت البيت والبيتين ، وهذه من أهم سمات ابن الاثير وخصائص المدرسة الادبية التي أكثرت من النصوص . ويظهر تحكم الذوق في التعليق على النصوص عند ابن الاثير ، فهو يكتفي بعبارة في أغلب الاحيان ولا يسرف في المماحكة التي شغف بها السكاكي حبا وأحال مباحث البلاغة ميدانا للجدل والتأويل .

ان هذه الموازنة العجلى توضح اختلاف المدرسة الكلامية عن المدرسة الادبية في التعريف والتقسيم والامثلة والتحليل ، وهو اختلاف ينبع من طبيعة المنهج الذي اتبعته كل مدرسة ، ومن ثقافة المؤلف وذوقه ، وهو اختلاف تقتضيه الدراسات الادبية لولا انه يسرف في التمحل والتحكم العقلي عند أصحاب المدرسة الكلامية ويوغل في الايجاز أو اللمحة عند أصحاب المدرسة الادبية . وقد أدى ذلك الى انحسار المدرسة الادبية وسيطرة المدرسة الكلامية بعد أن توقفت الحياة الادبية وجنح الادباء الى التقليد ، وبعد أن سادت شروح التلخيص والمنهج التعليمي المعتمد على القواعد والتقسيمات .

(٥)

المنهج

استقر البحث البلاغي بعد القرن السابع للهجرة على ما رسمه السكاكي في القسم الثالث من « مفتاح العلوم » ولم تنفع صرخة السبكي في مقدمة كتابه « عروس الأفراح » وظل « تلخيص » الخطيب القزويني عمدة البلاغيين مع أن البديعيات ظهرت في ذلك العهد وكان منهج شروحها أقرب إلى كتاب « البديع » لابن المعتز ، و « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ، و « بديع القرآن » و « تحرير التحرير » لابن أبي الأصبع المصري ، وأن كتاب « المنزع البديع » لأبي محمد القاسم السجلماسي أخذ طريقه إلى البلاغة وتوزعت موضوعاتها فيه إلى عشرة أنواع ضمت الفنون المختلفة : ولكن أمثال هذه الكتب لم تؤثر في منهج البحث وظل « التلخيص » وشروحه أساس الدارسين والمؤلفين .

ومنهج التلخيص لا يختلف عن منهج « مفتاح العلوم » اختلافا كبيرا (١) ، بدأه القزويني بمقدمة في فصاحة المفرد والكلام ، وعرف البلاغة بقوله : « البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته » وذكر أن مقامات الكلام متفاوتة ، وأن البلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار أفادته المعنى بالتركيب ، ولها طرفان :

أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه ، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه الى ما دونه التحقق عند البلفاء بأصوات الحيوانات ، وبينهما مراتب كثيرة وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا .

وقسم البلاغة الى ثلاثة علوم :

الاول : علم المعاني ، وهو « علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » . وحصره في ثمانية ابواب : احوال الاسناد الخبري ، و احوال المسند اليه ، و احوال المسند ، و احوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة .

والثاني : علم البيان ، وهو « علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » . وادخل في هذا القسم الدلالات ، وقال ان دلالة التشبيه وضعية ، ودلالة المجاز عقلية . وقسم البيان الى التشبيه والمجاز بانواعه والكناية .

والثالث : علم البديع ، وهو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة » وهو ضربان : معنوي ولفظي ، ومن المعنوي : المطابقة ، ومراعاة النظر ، والارضاد ، والتورية ، والمبالغة ، والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل . ومن اللفظي : الجناس ، ورد العجز على الصدر ، والسجع ، والموازنة ، ولزوم ما لا يلزم .

وختم كتابه ببحث السرقات الشعرية وما يتصل بها من الاقتباس والتضمين والحل والعقد والتلميح ، وعقد فصلا في حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الانتهاء .

ولم يخرج القزويني في كتابه « الايضاح » عن هذا المنهج ، ولم يغير الشراح هذا الترتيب ، وبذلك بقيت البلاغة خاضعة لمنهج السكاكي وتابعيه كالقزويني والتفتازاني والسبكي ، وظلت تدرس بهذه الصورة حتى مطلع القرن العشرين . وقد حاول الامام محمد عبده أن يعيد إلى البحث البلاغي رواءه وأن يقوم ما أعوج من مناهج البحث وطرائق التدريس ، وأخذ يدرس في الازهر الشريف كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وطبع الكتابان ولكن أساتذة الازهر أحجموا بمسد الامام عن تدريسهما وعاد منهج القزويني وشراح التلخيص .

وحاول المحدثون أن يضعوا مناهج بحث البلاغة الجديدة بعد أن وقفت عند الرسوم التي حددتها السكاكي والقزويني ، ومن هؤلاء **طه أحمد ابراهيم** الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة ، و**امين الخولي** الذي يرى أن التقسيم القديم لا أساس له ولا غناء فيه ، لأن البحث البلاغي ينبغي أن يشمل الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث في الجملة والجملتين ، وأن ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة فيها من مقدمات

منطقية واستطرادات فلسفية مختلفة ينبغي أن تبعد وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لا بد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه. وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره في التعبير الادبي والوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني وبالخيال والذاكرة والاحساس والذوق . ثم تبدأ بعدها دراسة البلاغة على منهج صحيح من غير تفريط بالتراث والبلاغة القديمة ، لان التجديد ليس معناه هدم القديم وانما هو البناء بعد الاستعانة به وبما وصلت اليه الحضارة في هذه الايام .

وتجمعت جهود الخولي في كتابه « فن القول » الذي كان توجيهها منهجيا شاملا لبحث البلاغة وخلق مدرسة جديدة ، فهو يرى أن بحوث فن القول ينبغي أن تكون ثلاثة أبواب هي : المبادئ ، والمقدمات ، والبحوث . يدرس في الاول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات ، ويدرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعين كثيرا في فهم الادب والتذوق والاحساس بما فيه من روعة وجمال . ويدرس في الثالث البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثر في التعبير ، والبحث في الجملة وما فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وإيجاز . ويضم الثالث أيضا البحث في الفقرة وما فيها من فصل ووصل وما تؤدي من معان وصور ،

والبحث في صور التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والإيحاء والتورية . وتضم البحوث بعد ذلك الأساليب الفنية في الأدب وأنواعها كالأسلوب الرمزي والفكاهي والتهكمي وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة وكثيراً من الفنون الحديثة تدرس البلاغة دراسة جديدة تقوم على تفهم الفن الأدبي ومقاييسه البلاغية والنقدية .

وقد فصل أمين الخولي في منهجه الجديد ووضع أبوابه وفصوله ومفرداته في خاتمة كتابه « فن القول » وقال عنه : « تلکم هي خطة فن القول وتنسيق بحوثة لا نقول انها في صورتها الاخيرة بل نقول انها تخطيط لمحاولة نأمل أن تظل أبد الدهر لو أمكن ذلك رهن التغير والتعديل وهدف التجديد والتحسين ، يضيف اليها ويحذف منها وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خيرة ليظل هذا الدرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلاً لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية » (٢) .

وهذا المنهج قديم في مادته جديد في منهجه ، ويعد من أحسن ما جاء به المحدثون غير أن المرحوم الخولي أسرف في المقدمات الفنية والنفسية كما أسرف القدماء في المقدمات الفلسفية والمباحث الكلامية والمنطقية فأخرجت البلاغة عن هدفها وأبعدتها عن فن القول الذي يريده الخولي . ولعل شيوع علم النفس حينما وضع منهجه

دعاه الى هذا الاهتمام الكبير به ، وتكاد الدراسات الادبية الحديثة تبتعد عن هذا المنحى وتتجه اتجاها اخر تخلص فيه للنزعة الادبية والتحليل المعتمد على العلاقات بين الكلمات والجمل وهذا ما سماه عبدالقاهر الجرجاني النظم وما يسميه المعاصرون البنيوية او البنائية (٢) . وقد يتغير هذا الاتجاه في السنوات القادمة ، وقد تظهر تيارات جديدة ترى في البنيوية افسادا للادب .

أما القسم الثالث وهو البحوث فقد وفق فيه الخولي توفيقا كبيرا ، غير ان بعض ما أدخله في الكلمة يدخل في تركيب الكلام او ما سماه القدماء علم المعاني مثل التعريف ووضع المضمرة موضع المظهر والعكس والالتفات والقصر والتوسع والتفليب والاستفهام والامر والنهي والنداء وخروج الاسلوب الانشائي عن أغراضه الحقيقية . وموضع ذلك كله الجملة أو قسم الاسلوب وبناء العبارة ، ويدخل فيها ما سماه الخولي « الفقرة » وهو دراسة الفصل والوصل والايجاز والاطناب .

وأدخل في الايضاح المعلن التشبيه والاستعارة والكناية والتجريد والقلب واسلوب الحكيم والمبالغة وتأکید المدح بما يشبه الذم والتدبيج والتهيج والالهاب والتهكم والفكاهة والتجاهل ، وليس موضع هذه الفنون الايضاح المعلن لان كثيرا منها ولاسيما التشبيه ايضاح والاستعارة والكناية واسلوب الحكيم من التخيل ،

وليس في التمثيل إيضاح معلن بل هو تصور يعتمد على المتلقي ، وقد يكون عنده إيضاحا وقد يكون عنده إبهاما ، ولا تخرج الفنون الأخرى عن التصور والتخييل . وقد يكون قسم صور التعبير المظلمة أولى بها لأن الرمز والإيماء من الكناية كما ذهب إليه القدماء ، ومثل ذلك اللفاز والتورية .

ولا تدخل الأقسام الأخرى في البلاغة وإنما هي من الدراسات الأدبية والنقدية ، فالشعر وموضوعاته وخصائصه ، والنثر وأنواعه تدخل في النقد أو الأدب ، ومثل ذلك اللفاظ والمعاني والعلاقة بينها . وللأساليب الأدبية موضعها في كتب الأدب والنقد .

إن المنهج الذي وضعه الخولي للبلاغة يتسع لكثير من الموضوعات وهو منهج جيد قوامه حفظ القديم وتطويره وضم الجديد وتيسيره ، ولكن الخروج عن هدف البلاغة في هذه الصورة لا يخدم هذا الفن لأنه يحيله موضوعا آخر قد يكون بعيدا عن البيان . ولعل المرحوم الخولي تأثر بالكتب المدرسية التي كانت تدرس في المدارس الأوروبية أبان القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهي كتب لم توضع لرصد المناهج ودقتها وإنما هدفها تعليم الناشئة في مرحلة الدراسة الأولى . وليست البلاغة أو فن القول من الموضوعات التي ينبغي أن تدرب في دراسات أخرى ، لأنها عمدة الأديب البليغ ومفتاح فهم أعجاز كتاب الله وأدراكه ، ولا يصح إبعادها عن

القرآن الكريم أو الغرض الديني كما تفعل أقوام أخرى
ثارت على الدين وتركت كتب السماء وراءها ظهريا .

ومن الذين وضعوا منهجا لدراسة البلاغة **أحمد
الشايب** ، وكان كتابه « الاسلوب » ثمرة خبرة طويلة في
درس البلاغة وتدريسها . وقد وضع في ضوء هذه
الخبرة والتجارب منهجه الجديد . ويرى أن ينحصر
موضوع علم البلاغة في بابين أو كتابين : الاسلوب ،
والفنون الأدبية ، فيدرس في الاسلوب القواعد التي
إذا اتبعت كان التعبير بليفا أي واضحا مؤثرا ، وتدرس
الكلمة والصورة والجملة والعبارة وعناصر الاسلوب
وأنواعه وصفاته ومقوماته وموسيقاه . وفي هذا القسم
توضع البلاغة العربية ، فعلم المعاني يدخل في بحث
الجملة وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة
وتبقى المباحث الأخرى مهمة في هذه الكتب التي انتهت
إليها الدراسة البلاغية . وفي الفنون الأدبية وقد تسمى
قسم الابتكار ، تدرس مادة الكلام واختيارها وتقسيمها
وتنسيقها وما يلائم كل فن من الفنون الأدبية وقواعدها
كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتأريخ .
وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية
الأخيرة وموضوعها كما يجب أن يكون ، انتهى الشايب
إلى أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ،
أكثره في قسم الفنون الأدبية وبقائه في باب الاسلوب ،
وأن شطرا من الاسلوب قد درس في المعاني والبيان

والبديع ، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق .
وليست هناك حاجة الى هذه الاسماء التي تسمى علوما
خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة ، وان البلاغة العربية
تحتاج الى وضع علمي جديد يشمل هذه الابواب والفنون
ويصل بينها وبين الطبيعة الانسانية وملابساتها الزمانية
والمكانية حتى يخدم الادب ، وان الادباء هم أولى الناس
بدرس البلاغة حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة
ومذاهبهم وألفاظهم ، فذلك هو الذي افسد البلاغة
وحولها بحوثا لفظية عقيمة اشبه بالرياضيات والكيمياء (٤) .

ولم يخرج الشايب كثيرا عن منهج الخولي ورأيه في
القسم الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الآخر فلا
مسوغ لادخاله في البلاغة لان موضعه دراسات خاصة
تتصل بالفنون الأدبية .

ويرى **عبدالله العلايلي** أن ينهج في دراسة البيان
الجديد أحد وجهين :

الاول : الفاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى
التشبيه والكناية فإن ما بقي يرجع اليهما من اقرب
الطرق ، فهذه الاستعارة بالكناية يمكن أن ترد الى
التشبيه الكنائي فيقال في مثل :

واذا المنية أنشبت أظفارها

أفيت كل تميمة لا تنفع

شبهت المنية بشيء له أظافر وأرسل كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق ، وما وراء هذا من التخييل تخيل . أو بلا ملحظ التشبيه أصلا وإنما من أول الامر يقال : جعل للمنية أظفارا كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

الثاني : الى حقيقة ومجاز ، وكل منهما كناية وتجريد ، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة والتشبيه والمجاز المركب . والكناية والمجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه ، والكناية المركبة .

أما علم المعاني فلما كان اللغة بمثابة المنطق فهو يرى أن لا يدرس في كتب القواعد كعلم ، بل يدرس على نهجه في كتب الادب كما هو عند الجرجاني في « دلائل الإعجاز » والزمخشري في « الكشاف » مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق وأقرب مناطا بالنفس . ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني (هـ) .

وفي هذا الرأي قضاء على كثير من صور التعبير وابتعاد عن البلاغة قد يحرم الادباء أجمل ما فيها ويبعدهم عن التراث الذي ينبغي أن يبنوا عليه أدبهم الجديد . والمجدد هو من قتل القديم درسنا وتحقيقا ، وأطلع على مناهج البحث الحديثة فأخرج جديدا له صلة بالتراث وارتباط بالحاضر . ولن تقبل أية دعوة غير مبنية على أساس قوي تدعمها الحجج وواقع اللغة ،

ولن يكون اعتراف بمجدد يبني أصوله على الجديد بحجة ان المحدثين أكثر اطلاعا من القدماء وأوسع أفقا ، وكثيرا ما يفقد الجديد صفة الجودة لانه ليس أصيلا .

وتكلم **أدور مرقص** في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على أنواع البديع المقترحة ، قال : « وقد فكرت في ذلك مليا وقلت ان هذا الفن أصبح معرضا لناموس رد الفعل فهو الان محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة . ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى أجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة أنواع » (٦) . وأمهاات الأجناس البديعية التي تنبه لها : الموافقة ، والمخالفة ، والترتيب ، والمبالغة ، والاستدراج ، والتلميح ، وحسن التعليل ، والإيهام ، والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع . أما الموافقة فتنبوي على : أنواع الأجناس والمراجعة والتوشيح وتشابه الاطراف والتفوييف والتصدير ومراعاة النظر والتشيل والتوجيه والترديد والتكرار والمناسبة والتشبيه والتفصيل والمشاكلة والجمع والتصريع وتشبيه شيئين بشيئين والاتفاق والمماثلة والتسهم والتطريز والترجيع والتفريع والسجع والتسميط والالتزام وأتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن وأتلاف المعنى مع المعنى والحذف والتدبيج .

وأما المخالفة فينطوي تحتها : الطباق والمقابلة
وايهام التضاد والمناقضة والعكس والتفريق والسلب
والإيجاب والرجوع والاستدراك .

وأما الترتيب فينطوي تحته : الترتيب والطبي
والنشر وايهام التناسب والاطراد والتقسيم والتفسير
والإيضاح وحسن النسق والتشطير والتعديد وجمع
المؤتلف والمختلف والمزاوجة والجمع مع التقسيم والجمع
مع التفريق .

وأما المبالغة فتشتمل على : التبليغ والاغراق
والغلو والقسم وتجاهل العارف والاستثناء وحصر
الجزئي والحاقه بالكلي .

وأما الاستدراج فيشتمل على : الافتنان
والاستتباع ، والادماج وحسن التخلص وعتاب المرء
نفسه .

وأما التلميح فيدخل في دائرته : التلميح والإشارة
والاكتفاء والتوجيه والاقتباس والتضمين والابداع والالغاز
وبراعة المطلب .

وأما حسن التعليل ففيه : حسن التعليل والالتفات
والمذهب الكلامي والاتساع والمغايرة .

وأما الإيهام ففروعه : الإيهام والمدح في معرض
الذم والذم في معرض المدح والتورية والاشتراك
والاستخدام .

وأما التدقيق فأقسامه : التشريع والإيفال
والاعتراض والاحتراض والفرائد أو التنكيت والتكميل .
وأما التوليد ففروعه : التوليد وسلامة الاختراع
وحسن الاتباع .

وأما الكلام الجامع ففيه : الكلام الجامع وأرسال
المثل .

وأضاف جنس الكناية وهو عنده الكناية والتعريض
والإرداف والإيضاح والقول بالموجب .

وهذه الأجناس المنطوية على هذه الأنواع لا تقتصر
على الألوان المختصة بفن البديع وإنما تذكر بعض ما
يتصل بعلم البيان وتبقى موضوعات علم المعاني بعيدة
عن هذا التصنيف . ويبدو أن الباحث نظر إلى البلاغة
من خلال البديعيات ولا سيما « خزانة الأدب » للحموي .

ويرى أنيس المقدسي أن تبويب موضوعات البلاغة
القديم لا يفيد كثيرا ولذلك وضع تبويبا آخر ليكون أقرب
إلى واقع اللغة ، قال : « رأينا أن مقاييس البلاغة
لم توضع اعتباطا ولا توقيفا بل ترجع إلى اعتبارات
نفسية عامة . وقد أهتم علماء العربية قديما بهذه
المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة : المعاني
والبيان والبديع . وافتن الشعراء والمنشؤون في
التأنق بصورها ، على أن العلماء مع توفرهم على درسها

وشرحها لم يعنوا بتبويبها منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى اصولها « (٧) . وبوبها تبويبا جديدا وحصرها في ستة أبواب هي : باب التعادل ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزنا وتركيبا ، وقد يسمى الازدواج ويدخل فيه التوازن والمماثلة والسجع والتسميط والترصيع والتزاوج .

وباب التواطؤ اللفظي : وهو أن تكون الالفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى ام لم تختلف . وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين وعلى ما فيهما من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها . ويدخل فيه : الجناس والتورية والتصدير والعكس والجمع مع التفريق والمجاورة والطي والنشر .

وباب المغايرة : وهو عكس المشابهة ويراد بها مشابهة بين شيئين ، ومنه التشبيه والتمثيل والاستعارة ومراعاة النظر وتجاهل العارف .

وباب المغايرة : وهو عكس المشابهة ويراد بها الجمع بين المتضادات أو أشباهها ، ويدخل فيه المقابلة والمطابقة والطراد والعكس والتهكم والاستفهام البياني والتغاير والسلب والإيجاب . وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة والاستدراك والاستثناء والمجاورة والترديد وغير ذلك من هذه المقابلات .

وباب الخروج عن المعتاد : ويشمل المجاز المرسل والتجريد والالتفات وتقديم ما حقه التأخير وبالعكس وتأخير المتقدم والغلو والمبالغة .

وباب الإيحاء إلى غرض : ويدخل فيه الكناية والتوجيه والاكتفاء والاتفاق والإشارات اللغوية والعلمية والادماج والتذييل والتتيميم .

ولا يختلف هذا المنهج كثيرا عن منهج السابق ، فكلاهما عودة إلى البلاغة كما حددتها البديعيات ، وتنسيق لموضوعاتها التي جاءت غير منسقة أو موضوعة في أبواب متجانسة . وليس هذان المنهجان ببعيدين عن عمل السجلماسي الذي عاش في القرن السابع للهجرة فقد صنف موضوعات البلاغة ووزعها على عشرة أقسام هي : الإيجاز ، والتخييل ، والإشارة ، والمبالغة ، والرصف ، والمظاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والانشاء ، والتكرير . وأدخل في كل قسم الفنون المتجانسة ، ففي التخييل - مثلا - أدخل التشبيه والاستعارة والمماثلة والمجاز ، وفي الإشارة وضع الاقتضاب والإيهام والتتبع والكناية والتعرض والتلويح والتنويه والتعمية والإيحاء واللمح والرمز والتورية . وهو توزيع ملائم لطبيعة الجنس الذي اتخذ عنوانا للباب .

هذه أهم المناهج التي ذكرها المحدثون ، ولعل أقربها الى واقع البلاغة العربية منهج الخولي لانه يقوم على التراث البلاغي والنقدي ويستفيد من المناهج الغربية التي بدأت تدخل الدراسات العربية . ولكن منهج الخولي يحتاج الى اعادة نظر ، وقد أشار - رحمه الله - الى ذلك لانه يؤمن بأن الحياة الادبية تتطور ، وما هو صالح اليوم قد يكون غير جدير بالاهتمام بعد حين . ولولا اسراف الخولي بالاعتماد على الدراسات المتغيرة وتوزيعه بعض الموضوعات لكان من أدق المناهج ولاصبح عمدة البحث البلاغي الجديد .

ان البحث في البلاغة يقتضي العودة الى التراث واستقرائه وأخذ ما فيه النفع وانارة السبيل . وليست كل الكتب نافعة في هذا الميدان ففي كثير منها ما تخطاه الزمن وما لا يصلح للحياة المعاصرة ولكن جهود البلاغيين تظل أسنانا في رسم المنهج وطريقة عرض الموضوعات ، ولعل آثار المدرسة الادبية اكثر الكتب نفعا في هذه الدراسة لانها تحمل بذور الذوق الاصيل والنظرة الفنية الصادقة . ولكن البحث البلاغي ليس تذوقا فحسب وإنما هو منهج علمي يرصد الفنون وينسقها في أبواب متجانسة ولذلك تكون العودة الى كتب المدرسة الكلامية مهمة لانها تضبط القواعد وتحدد الاصول . والدراسة العلمية الحديثة أحوج ما تكون الى الضبط والتحديد ووضع المعالم في الطريق ، وليس الفن ببعيد عن ذلك

والأخيراً أصبح خواطر مبعثرة ورسوماً باهتة لا تكشف صورة ولا تبين .

وكتاب « الإيضاح » للخطيب القزويني وشروح التلخيص تبقى مصدراً أساسياً للبحث البلاغي لأن فيها التقسيم العقلي والتحديد المنطقي والعرض الدقيق . ولكنها لا تعكس التصور الجديد أولاً ، ولأن فيها كثيراً من المباحث الغريبة عن البلاغة ثانياً . وأول عمل يقوم به المجدد النظر في تلك الكتب وتجريدها من كل غريب وإضافة ما ينفع ويلقى ضوءاً على الفنون . ويتمثل هذا النظر في مسألتين :

الأولى : المنهج ، وهو صورة من منهج السكاكي وأن أجرى فيه القزويني بعض التعديل (٨) . فقد قسم القزويني البلاغة إلى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، والمقاصد في تبيان المعاني والبيان والبديع . وهذا تقسيم غير دقيق لأنه أخرج الفصاحة عن المقاصد وجعلها مقدمة وهي جزء مهم من البحث البلاغي لأن الكلمة المفردة عنصر أساسي في أي عمل فني أداته الكلمة ولأنها من مقاصد فن القول لا من مقدماته ، وقد أولاهما الخولي أهمية من حيث هي عنصر لغوي ، ومن حيث هي جزء الجملة ، ولها وضع يحدده النظم ويخضع للبيئة وللتطور الحضاري ، وكان المتقدمون قد اهتموا بالالفاظ وجرسها وعقد لها ابن سنان في

« سر الفصاحة » وابن الأثير في « المثل السائل » فصولاً
ولذلك ينبغي أن تبحث في البلاغة الجديدة بحثاً عميقاً وأن
تكون من مقاصدها لا من مقدماتها .

وقسم علم المعاني إلى ثمانية أقسام هي : أحوال
الاسناد الخبري ، وأحوال المسند إليه ، وأحوال
المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر ، والإنشاء ،
والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة . ووجه
الحصر أن الكلام خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبته
خارج تطابقه أو لاتطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول
الخبر ، والثاني الإنشاء ، ثم الخبر لا بدله من اسناد
ومسند إليه ، وأحوال هذه الأضرب الثلاثة هي الأبواب
الثلاثة الأولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان
فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه وهذا
هو الباب الخامس . والإنشاء هو الباب السادس . ثم
الجملة إذا قرئت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على
الأولى أو غير معطوفة وهذا هو الباب السابع . ولفظ
الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد
عليه وهذا هو الباب الثامن (٩) .

بهذا الأسلوب حصر بحوث علم المعاني وهو حصر
منطقي لولا أنه قطع أوصاله ؛ لأن ما يطرأ على الخبر
يطرأ على الإنشاء ، ولعل تقسيمه إلى الخبر والإنشاء
وأحوال الجملة وما فيها من تعريف وتنكير ، وذكر
وحذف ، وتقديم وتأخير وقصر وخلافه - وفصل

ووصل ، وأيجاز وأطناب ومساواة ، وخروج على مقتضى الظاهر كوضع المضمحل موضع المظهر ووضع المظهر موضع المضمحل والقلب والاسلوب الحكيم والتقليب والالتفات - خير وأجدي لأن هذا التقسيم يجمع أجزاء الموضوع الواحد ويوحد بينها وينسقها في عرض بديع .

وقسم علم البيان إلى المجاز والكناية لدالتهما العقلية وأخرج التشبيه لأن دلالة وضعه لا يؤتى بها المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . ولكنه بحثه كما فعل السكاكي وقدمه لأن أحد أنواع المجاز وهو الاستعارة مبني عليه ، وليس في هذه الحجة ما يسوغ اتجاههم ؛ لأن التشبيه فن كثير الاستعمال في اللغة العربية وله صور متعددة حفل بها القرآن الكريم وكلام العرب . أن تقسيم علم البيان إلى تشبيه ومجاز وكناية من غير ذلك الربط العقلي أنفع وهو يعطي كل فن قيمته وأن كان بعضها متصلاً ببعض كالاستعارة التي هي تشبيه بألف حذف فيه المشبه أو المشبه به .

وقسم علم البديع إلى ضربين : ضرب يرجع إلى المعنى ، وآخر يعود إلى اللفظ . وهو تقسيم غير دقيق لأن أكثر فنون البديع متداخلة . والأقرب إلى الدقة أن توزع الألوان المهمة ويدرس بعضها في الألفاظ كالسجع والتصريع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم والموازنة كما فعل ابن الأثير حينما درسها في الصناعة اللفظية ، والخوالي حينما أدخلها في الكلمة من حيث هي عنصر

لغوي . ويدرس بعضها مستقلاً أو في أبواب تجمع
 الاشباه والنظائر كما فعل السجلماسي حين ادخل في
 جنس الإشارة : التلويع والابهام والايماء واللحن والرمز
 والتورية ، وأدخل في المبالغة : الاغراق والسلب
 والايجاب والفلو والتجاهل والتجريد والتشكيك
 والتداخل والملابسة ، وأدخل في الرصف : الارصاد
 والمقابلة والالتفاف والتقسيم والتسليم ، وأدخل في
 التكرير ، المشاكلة والمناسبة وتجنيس المماثلة وتجنيس
 المضارعة وتجنيس التركيب وتجنيس الكناية والتلفيق
 والترصيع والموازنة والتناسب وغيرها . وتهمل الانواع
 التي ليس لها تأثير في التعبير ولا تبعث في الكلام رونقا
 وطلاوة وتضفي عليه بهاء وجمالا ، وقد فعل القدماء
 مثل ذلك وأهملوا ما لا أثر له في المعنى ولا في روعة الكلام ،
 قال القزويني بعد أن ذكر فنون البديع : « هذا ما تسر
 — بأذن الله تعالى — جمعه وتحريره من أصول الفن
 الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها
 ما يتعين أهماله لاحد سببين : لعدم دخوله في فن
 البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ
 مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في
 الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو
 ما لا أثر له في التحسين كما يسمى التريديد . أو لعدم
 جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو
 داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فإنه في الحقيقة

راجع إلى الاطناب ، أو خلط فيه كما سماه حسن
البيان . ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة
وهو شيئان :

أحدهما : القول في السرقات الشعرية وما يتصل
بها .

والثاني : القول في الابتداء والتخلص والانتهاء .
فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب « (١٠) » .

فالقزويني أخرج ما لا أهمية له في التعبير ولكنه
ألحق موضوعات مهمة بالبديع أو بالبلاغة كلها وهي
السرقات ، وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء .
وليست السرقات مما يلحق بالبلاغة وإنما هي دراسة
حية تعنى بعملية الإبداع والابتكار ومعرفة المجدد من
المقلد ، ولذلك فإن بحثها في باب مستقل يفني دراستها
ويعطيها قيمة كبيرة ويضعها حيث ينبغي أن توضع من
الدراسات البلاغية والنقدية . وأما حسن الإبداع
والتخلص والانتهاء فهي من أصول بناء العمل الفني
الذي يسمى فيه منشئه إلى الوحدة التي تربط أجزاء
القصيدة أو الخطبة أو الرسالة أو المقالة أو القصة ،
وبذلك تأخذ هذه الموضوعات الثلاثة موقعا مهما في
الدراسات النقدية والأدبية .

إن منهج البلاغة كما وصل إلى الباحثين في هذا
العصر نافع ولكنه لا يحقق الهدف لما في بعض أبوابه من

تمزق سببته النظرة المنطقية والحصص الدقيق . ولعل الملاحظات التي سبقت تنفع في رسم المنهج الجديد ، وهو منهج ينبغي أن يظل مرتبطا بالتراث البلاغي والنقدي عند العرب ويصور الواقع الادبي في هذه الايام .

الثانية : المعالجة ، ويراد بها طريقة القرويني وشرح تلخيصه في دراسة الموضوعات البلاغية . وقد أصبحت البحوث الجديدة لا تحتل اقسام المباحث الغريبة عن القضية المدروسة ، ولذلك ينبغي تجريد البلاغة من المسائل الكلامية والفلسفية وهي كثيرة في شروح التلخيص ، والابتعاد عن الطرائق المعقدة في الشرح والتحليل لأنها تفقد النص قيمته الادبية . فما ينبغي تخلية البلاغة منه الدراسات الفلسفية والكلامية والمنطقية والدلالات والبحث في النسب الكلامية والذهنية والخارجية والجامع وأنواعه والكلام على الحواس الخمس بما يبعد التشبيه عن الهدف ، والتعليقات الفقهية والنحوية التي لا تخدم البحث البلاغي . وتبقى هناك قضايا كثيرة ينبغي الاخذ بها والاستفادة منها ، ومن ذلك المصطلحات البلاغية التي استقرت وصارت لها دلالة واضحة لان تغييرها يثير الاضطراب ولا يقدم جديدا ، ومنها الاقسام المهمة للفن الواحد لان القدماء استقروها من كلام العرب ولا غناء عنها ، ومنها الفنون التي سبق ذكرها في المنهج ، وهي فنون تمثل الاسلوب العربي البليغ ، أما بعض ما ذكره المتأخرون من ألوان

البديع فأهماله أولى لانه لا يمثل كلام العرب وأسلوبه الرفيع . وينبغي أن تستقرى الفنون قبل الحكم عليها، فكم من صور أنكرت لان المتأخرين عنوا بها وهي ماثلة في كتاب العربية الاكبر وفي كلام العرب البلغاء . أي أن مهمة الباحث صعبة ولا يقوى على التجديد الا من وطن نفسه لهذا العمل وقضى فيه زمنا طويلا يقرأ ويعيد النظر ، ويحذف ويضيف ليبقى فن القول متطورا وليظل مرتبطا بكلام العرب .

تلك نظرة في مناهج البحث البلاغي وتبقى مسألة أخيرة تعطي المنهج بعدا جديدا وهو معالجة فنون القول . وقد اتضح في الموازنة بين السكاكي وابن الاثير ان الاول ينحو منحى عقليا في العرض والتحليل ، وان الثاني يسلك مسلكا ذوقيا ، والفرق بين الاتجاهين كبير ولا يغني احدهما عن الآخر لان الباحث ينبغي ان يضع يده على مواطن الجمال والزوعة والتأثير في النص الادبي ، ولا يكتفي بالإشارة الى ذلك الجمال لانه لا يقنع الدارس ولا يقرب اليه الموضوع . وقد سادت في هذه الايام البنيوية التي قدح شرارتها الاولى في هذا العصر فردنان دي سوسير واقام اللغة على ما بين كلماتها وجملها من علاقات (١١) . ودخل هذا المنهج في كثير من الدراسات المعاصرة وكان النقد أحد تلك الميادين ولكن المتأثرين بذلك من العرب حولوا الادب أحصاء للالفاظ وخطوطا بيانية وزوايا قائمة او خادة او منفرجة واقواسا رياضية

وأشعة تنبعث من عدسات مقعرة أو محدبة ، وطفى
المنهج الشكلي وغاب الاحساس بجمال النص وتأثيره في
النفوس . وفي كتب البلاغة والنقد ما يعين كثيرا في رسم
منهج للتحليل ورصد الظواهر الفنية ، ولعل كتابي
« دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبد القاهر
الجرجاني من أحسن الكتب التي تعين الناقد العربي
وتحقق الهدف الذي يسعى اليه المجددون . فقد أقام
هذا العبقرى بلاغته ونقده على نظرية النظم، وهي ليست
ببعيدة عن المنهج البنيوي الجديد ولكنها تعطي النص
حياة وتبعث في المتلقي شعورا بجماله . فالنظم عند
عبد القاهر « تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها
بسبب من بعض » (١٢) أي أنه توخى معاني النحو :

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى

حكم من النحو نمضي في توحيه

«أو كما قال : « وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع
كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه
وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ،
وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » (١٢)
ولكنه لا يريد بالنحو ما تعارف عليه المتأخرون من اهتمام
بالعامل والبناء والأعراب ، وإنما يريد العلاقات القائمة
بين الكلم ، ولذلك قال : « انما لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم
بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروعه فينظر في
الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق »

و « زيد ينطلق » و « ينطلق زيد » و « منطلق زيد »
و « زيد المنطلق » و « المنطلق زيد » و « زيد هو المنطلق »
و « زيد هو منطلق » . وفي الشرط والجزاء الى الوجوه
التي تراها في قولك ب « ان تخرج أخرج » و « ان خرجت
خرجت » و « ان تخرج فأنا خارج » و « أنا خارج ان
خرجت » و « أنا ان خرجت خارج » . وفي الحال الى
الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا »
و « جاءني يسرع » و « جاءني وهو مسرع » أو « هو يسرع »
و « جاءني قد أسرع » و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف
لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر
في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها
بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص
معناه نحو أن يجيء ب « ما » في نفي الحال وب « لا »
إذا أراد نفي الاستقبال وب « ان » فيما يترجح بين أن
يكون وأن لا يكون وب « إذا » فيما علم أنه كائن . وينظر
في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع
الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من
موضع الفاء وموضع « ثم » وموضع « أو » من موضع
« أم » وموضع « لكن » من موضع « بل » . ويتصرف
في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ،
وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاعظهار فيضع كلا من
ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل ، فليست بواجب شيئا يرجع

صوابه ان كان صوابا وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه وأستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساد ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ووجداته يدخل في أصل من اصوله ويتصل بباب من أبوابه « (١٤) » .

فالفرق بين هذه الأساليب ليس فرقا في الحركات وما يطرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يحدثها ذلك الوضع والنظم الدقيق (١٥) . وقد طبق عبدالقاهر هذه النظرية على كلام الله وانتهى الى انه معجز بالنظم وقال : « فاذا ثبت الان أن لاشك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها معدنه وممانه (١٦) وموضعه ومكانه وأنه لا مستنبط له سواها وأن لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها الى الخدع ، وأنه ان أبى أن يكون فيها كان قد أبى أن يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه أن يثبت شيئا آخر يكون معجزا به وان لا يلحق بأصحاب الصرفة فيدفع

الإعجاز من أصله . وهذا تقرير لا يدفعه إلا معاند بعد الرجوع عن باطل قد اعتقده عجزاً والثبات عليه من بعد لزوم الحجة جليداً ، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها من الإنسانية « (١٧) . وحلل النصوص الأدبية في ضوء نظرية النظم ، وربط بها صور البيان كالتمثيل والاستعارة والكناية ، ونظر إلى السرقات من خلالها ولم يحكم عليها بأخذ المعاني العامة أو الألفاظ وإنما بترتيب الكلام وأخراجه في صورة جديدة (١٨) .

ومن أمثلة تحليل عبد القاهر للنصوص قوله في الأبيات :

بلونا ضرائبَ مَنْ قد نرى
فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثا
ت عَزَمَا وشيكا ورأيا صليبا

تنقل في خلقي سؤدد
سماحا مرجى وبأسا مهيبا

فكالسيف إن جثته صارخا
وكالبحر إن جثته مستثيبا

« فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا
في نفسك فقد فأنظر في السبب واستقص في النظر ،
فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أن قدم و آخر ، وعرف

ونكر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجهها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروكك منها قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنقل في خلقي سوؤدد » بتنكير « السوؤدد » وإضافة « الخلقين » إليه ، ثم قوله : « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذف المبتدأ لان المعنى لا محالة « فهو كالسيف » . ثم تكريره الكاف في قوله : « وكالبحر » ، ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه - أي في كل واحد - ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من الآخر ، وذلك قوله : « صارخا » هناك و « مستثيبا » وهنا . لا ترى حسنا تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عددت أو ما هو في حكم ما عددت فأعرف ذلك » (١٩) .

وكان ابن قتيبة قد قال عن الأبيات :

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهاري رحالنا

ولم ينظر الغادي الذي هو رائج

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الإباطح

« هذه الألفاظ - كما ترى - أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وأن نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستظمتنا الأركان وعالينا إبلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الفادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح » (٢٠) .

وحللها عبد القاهر تحليلًا بديعًا وأظهر روعة الاستعارة فيها ، فقال : « أنظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفًا إلا الى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، والا الى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مدخلة الطفيلي الذي يستثقل مكانه والاجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع الى تطلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها وأعتمد دليل حال غير مفصح ، أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصلح . وذلك أن أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة » فمبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ وهو طريقة العموم ثم نبه بقوله : « ومسح بالأركان من هو ما مسح » على طواف الوداع

الذي هو آخر الامر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زم الركاب وركوب الركبان ثم دل بلفظة « الأطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطوفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء ، وأنبا بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجهه ألفه الأصحاب وأنسة الأحباب وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الأياب ، تنسم روائح الأحبة والأوطان واستماع التهاني والتحايا من الخلان والأخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصرح أولا بما أوما إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حالة التوجه إلى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطأة الظهر إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الإباطح وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطية وكان سيرها السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : « بأعناق المطي » ولم يقل « المطي » لأن السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها ، ويبين أمرهما من هواديهما وصدورها ، وسائر اجزائها تستند إليها في

الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ويعبر عن المرح والنشاط
إذا كانا في أنفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والراس ،
ويدل عليها بثمائل مخصوصة في المقادير . فقل الآن
هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها
حتى أن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو
ذكرت على الانفراد ، وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر
ونسجه وتأليفه وترصيفه حتى تكون في ذلك كالجوهرة
التي هي وإن ازدادت حسنا بمصاحبة أخواتها واكتسبت
بهاء بمضامنة أترابها ، فإنها إذا جليت للعين فردة
وتركت في الخيط فذة لم تعدم الفضيلة الذاتية والبهجة
التي في نفسها مطوية ، والشذرة من الذهب تراها بصحبة
الجواهر لها في القلادة واكتشافها لها في عنق الغلاة وصلتها
بريق حمرتها والتهاب جواهرها بأنوار تلك الدرد التي
تجاورها ولآلاء الآليء التي تناظرها ، تزداد جمالا في
العين ولطف موقع من حقيقة الزين ، ثم هي أن حرمت
صحبة تلك العقائل وفرق الدهر الخوؤون بينها وبين
هاتيك النفائس لم تعر من بهجتها الأصلية ولم تذهب
عنها فضيلة الذهبية . كلا ليس هذا بقياس الشعر
الموصوف بحسن اللفظ وإن كان لا يبعد أن يتخيله من
لا ينعم النظر ولا يتم التدبر . بل حق هذا المثل أن
يوضع في نصرة بعض المعاني الحكمية والتشبيهية بعضها
وإزدياد الحسن فيها بأن يجمع شكل منها شكلا ، وأن
يصل الذكر بين متدانيات في ولادة العقول أياها
وامتجاورات في تنزيل الافهام لها « (٢١) » .

وقال في البيت :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا
أنصاره بوجوه كالدنانير

« فانك ترى هذه الاستعارة على لسانها وغرابتها
انما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بها توخي في
وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت
ولطفت بمعاونة ذلك وموازنته لها . وان شككت فاعمد
الى الجارين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذي
وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحي بوجوه
كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال
وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك
التي كانت وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها » (٢٢)

وجرى عبد القاهر على هذا المنهج في تحليل النصوص ،
وهو منهج علمي يعتمد على أصول النحو ومقاييسه
ويقتبس من الوجدان ملامحه ورسومه ، وبذلك أقام
هذا الفذ البلاغة والنقد على العلاقات بين الكلم او
« نظرية النظم » التي ارتفعت الاصوات بالعودة اليها
حينما ظهر المنهج البنيوي واخذ به بعض الدارسين ،
وكان قبل ذلك نسيا منسيا .

تلك ملامح عامة للبحث البلاغي عند العرب ، وقد
اتضح انه نشأ كغيره من البحوث اللغوية ونما وازدهر ، ثم
أصيب بنكسة بعد القرن السابع .

والمنهج الجديد يقتضي العودة الى التراث البلاغي والنخدي ليؤخذ منه ما فيه النفع ، ويوضع منهج يقوم على أساسين :

الاول : اعادة النظر في المنهج القديم وتصنيف فنون القول تصنيفا جديدا ليس فيه اضطراب او مجافاة للنزعة الادبية .

الثاني : اعادة النظر في معالجة الفنون ووضع منهج تحليلي يعتمد على ما بدأه عبدالقاهر الجرجاني ، وهو منهج يتخذ من العلاقات بين الكلم سبيلا ، ومن الذوق الرفيع دليلا .

وسيظل هذان الاساسان عرضة للنظر حتى يتحقق المنهج البلاغي الدقيق .

الدكتور احمد مطلوب

الهوامش

(١)

النشأة

- (١) اللسان (بلغ) .
- (٢) القصص ١٤ .
- (٣) الاحقاف ١٥ .
- (٤) النحل ٧ .
- (٥) النساء ٦٣ .
- (٦) المفردات في غريب القرآن ص ٦٠ .
- (٧) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
- (٨) الايضاح ص ٩ ، التلخيص ص ٣٣ .
- (٩) الايضاح ص ١١ ، التلخيص ص ٣٦ .
- (١٠) الايضاح ص ١٢ ، التلخيص ص ٣٧ .
- (١١) مفتاح العلوم ص ٧٧ .
- (١٢) الايضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٣٥ .
- (١٣) مفتاح العلوم ص ٧٧ .
- (١٤) الايضاح ص ٣٣٤ ، التلخيص ص ٣٤٧ .
- (١٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

- (١٦) ينظر بمصطلحات بلاغية ص ٤٩ وما بعدها .
- (١٧) الايضاح ص ٩ ، ١١ ، التلخيص ٢٣ ، ٢٦ .
- (١٨) الرحمن ١ - ٤ .
- (١٩) البقرة ٢٠٤ .
- (٢٠) مشدودة السك : يعني درعها . الموضونة : المنسوجة كالوضن وهو حزام الرجل المنسوج ، الآتي : السيل . الجديد : الامس من الارض .
- (٢١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧١ ، ٢٢٧ .
- (٢٢) ينظر البيان ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .
- (٢٣) ينظر البيان ج ١ ص ٢٢٢ .
- (٢٤) ينظر تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٩ ، ودروس في البلاغة وتطورها ص ١٠ .
- (٢٥) نقد الشعر ص ١٩٦ .
- (٢٦) ينظر نقد الشعر ٢١٤ ، وكتاب الصناعتين ص ٩٨ .
- (٢٧) البيان ج ١ ص ٩٦ .
- (٢٨) الرسالة العذراء - وسائل اليلفاء ص ٢٥٢ .
- (٢٩) المعجزة ج ١ ص ٢٤٢ ، وفي عروس الافراح ج ١ ص ١٢٦ :
(« كلمة تكشف عن البقية ») - بالغين - .
- (٣٠) المعجزة ج ١ ص ٢٤٥ ، عروس الافراح ج ١ ص ١٢٧ .

(٢)

الاهداف

- (١) كتاب الصناعتين ص ١ - ٢ .
- (٢) أرقلت : أسرعت . الهمرجلة : الناقة . الشيطان : الطويل
الجسم الفتي من الابل والخيول والناس . شبرقت : الشبرقة
عدو الدابة وخدا . التنوفية : الفائزة والارض الواسعة البعيدة
الاطراف . الوحي : الصوت الخفي . زيزيم : صوت الجن .
- (٣) كتاب الصناعتين ص ٢ - ٣ .
- (٤) كتاب الصناعتين ص ٣ .
- (٥) المثل السائر ج ١ ص ٢ .

(٣)

المؤثرات

- (١) الحيوان ج ١ ص ٣٣٥ .
- (٢) نقد الشعر ص ١٩٦ .
- (٣) البيان ج ١ ص ١١٤ ، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٠ .
- (٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .
- (٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- (٦) للتفصيل ينظر مناهج بلاغية ص ٣٩ - ٥١ ، واتجاهات النقد
الادبي في القرن الرابع للهجرة ص ١١٩ - ١٧٩ .

- (٧) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٦ .
- (٨) الكشف ج ١ ص : ك .
- (٩) الطراز ج ١ ص ٥ .
- (١٠) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .
- (١١) عروس الافراح ج ١ ص ٥٢ .
- (١٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .
- (١٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٥٢ - ٧٨ .
- (١٤) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٧ - ١٨ ، الموشع ص ١٥٦ .
- (١٥) الاغانى ج ١٨ ص ١٨٤ .
- (١٦) المصون في الادب ص ٤ .
- (١٧) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٣ ، وينظر الاستدراك ص ١٢ .
- (١٨) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٨١ - ١١٨ .
- (١٩) الاغانى ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٩٦ .
- (٢٠) البديع ص ٥٨ .
- (٢١) العمدة ج ١ ص ١١٧ .
- (٢٢) العمدة ج ١ ص ٢٠٠ ، وينظر اخبار أبي نواس ص ٥١ .

- (٢٣) العمدة ج ١ ص ١٢١ .
- (٢٤) البديع ص ١ .
- (٢٥) البديع ص ٣ .
- (٢٦) التفصيل في مناهج بلاغية ص ١٢١ - ١٥٢ .
- (٢٧) البيان ج ١ ص ١٣٧ .
- (٢٨) البيان ج ٤ ص ٢٣ - ٢٤ .
- (٢٩) العمدة ج ٢ ص ١٠٥ .
- (٣٠) العمدة ج ٢ ص ١٠٦ .
- (٣١) التفصيل في مناهج بلاغية ص ١٥٣ - ٢١١ .
- (٣٢) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢١٢ - ٢٢٢ .
- (٣٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣١٩ - ٣٤٨ .
- (٣٤) ينظر أدب الكاتب ص ٣ .
- (٣٥) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٠٧ ، معجم الادباء ج ٢ ص ١٠٥ .
- (٣٦) ينظر المثل السائر ج ١ ص ٣١٠ .
- (٣٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٢٢٥ - ٣١٥ .
- (٣٨) التفصيل في المتزج البديع ص ١٢ ، ٤٣ ، ٥٨ وما بعدها .

(٤)

الاتجاهات

- (١) كتاب الصناعتين ص ٩ .
- (٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ .
- (٣) مناهج تجديد ص ١٤٩ .
- (٤) المثل السائر ج ١ ص ٣١٠ .
- (٥) المثل السائر ج ١ ص ٣١١ .
- (٦) مناهج تجديد ص ٢٤٦ وما بعدها ، دائرة المعارف الإسلامية ^{عامة}
(الطبعة العربية) مادة بلاغة المجلد الرابع ص ٦٩ .
- (٧) عروس الافراح ج ١ ص ٥ .
- (٨) التفصيل في القزويني وشروح التلخيص ص ٥٠ - ٩٣ ، البلاغة ^{عامة}
عند السكاكي ص ٣٥٠ .
- (٩) التفصيل في القزويني وشروح التلخيص ص ٨٦ .
- (١٠) البلاغة عند السكاكي ص ١١٢ .
- (١١) الطراز ج ١ ص ٣ - ٤ .
- (١٢) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .
- (١٣) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .
- (١٤) مفتاح العلوم ص ١٧٨ .

(١٥) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٥ .

(١٦) ابراهيم ١ .

(١٧) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٤ .

(١٨) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٩) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(٢٠) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢١) رواية السكاكي :

وصاعقة من نصله تنكفي بها

على أدؤس الاقران خمس سحائب

(٢٢) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

(٥)

المناهج

(١) التفصيل في القرويني وشرح التلخيص ص ١٦٢ .

(٢) فن القول ص ٢٢٢ .

(٣) التفصيل في الانثروبولوجيا البنيوية ص ٤٩ ، البنيوية

لجان بياجيه ص ٦٣ ، البنيوية لجان ماري ص ٢٧ ، ٤٩ ،

٦١ ، مشكلة البنيوية ص ٤٧ ، نظرية البنائية في النقد الادبي

ص ٢٨ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ - ٢٤٠ ، جدلية الخفاء والتجلي ص ١٩ ،

٦٤ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٦٨ ، ٢٦٢ .

(٤) التفصيل في الاسلوب ص ٢٨ - ٣١ .

(٥) التفصيل في مقدمة أدبية لدرس لغة العرب ص ٤٣ - ٤٥ ،

تهذيب المقدمة اللغوية ص ٢٨٤ .

- (٦) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد التاسع عشر
ص ٨١ ، مجلة المقتطف المجلد (١٠٢) ص ٢٨٢ .
- (٧) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثلاثون ص ٣٥ .
- (٨) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٧٨ وما بعدها .
- (٩) الايضاح ص ١٣ ، التلخيص ص ٣٧ .
- (١٠) الايضاح ص ٤٠١ .
- (١١) التفصيل في المصادر الواردة في هامش رقم ٣ من هذا القسم .
- (١٢) دلائل الاعجاز ص : ص .
- (١٣) دلائل الاعجاز ص ٦٤ .
- (١٤) دلائل الاعجاز ص ٦٤ - ٦٥ .
- (١٥) التفصيل في عبدالقاهر الجرجاني - بلاغته ونقده - ص ٥١
وما بعدها .
- (١٦) المعان . المباءة والمنزل .
- (١٧) دلائل الاعجاز ص ٤٠٤ .
- (١٨) التفصيل في موقف عبدالقاهر من الاعجاز والسرفات في كتاب
عبدالقاهر الجرجاني - بلاغته ونقده - ص ١٧٣ - ١٩٨ ،
٢٤٥ - ٢٦٨ .
- (١٩) دلائل الاعجاز ص ٦٧ - ٦٨ .
- (٢٠) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ .
- (٢١) اسرار البلاغة ص ٢٢ - ٢٤ .
- (٢٢) دلائل الاعجاز ص ٧٨ .

المصادر

- ١ - اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة . الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٩٧٣ م .
- ٢ - اخبار أبي نواس . ابن منظور . بيروت ١٩٦٩ م .
- ٣ - أدب الكاتب . ابن قتيبة . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٤ - الاستدراك . ضياء الدين بن الاثير . تحقيق الدكتور حفي محمد شرف . القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٥ - اسرار البلاغة . عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق ريتز . استانبول ١٩٥٤ م .
- ٦ - الاسلوب . احمد الشايب . القاهرة . الطبعة الثالثة .
- ٧ - الاغانى . أبو الفرج الاصفهاني . طبعة دار الكتب والمؤسسة العامة بالقاهرة .
- ٨ - الامتاع والمؤانسة . أبو حيان التوحيدي . القاهرة .
- ٩ - الانثروبولوجيا البنيوية . كلود ليقي شتراوس . ترجمة الدكتور مصطفى صالح . دمشق ١٩٧٧ م .

- ١٠ - الايضاح - الخطيب القزويني - القاهرة .
- ١١ - البديع - عبدالله بن المعتز . طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٢٥ .
- ١٢ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٩٦٤ م .
- ١٣ - البنيوية . جان بياجيه . ترجمة عارف منيمه وبشير اوبري .
بيروت ١٩٧١ .
- ١٤ - البنيوية . جان ماري وآخرون . ترجمة ميخائيل مخول .
دمشق ١٩٧٢ م .
- ١٥ - البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون .
القاهرة ١٩٤٨ م .
- ١٦ - تاريخ النقد الادبي عند العرب . طه احمد ابراهيم . بيروت .
الطبعة الثانية .
- ١٧ - التلخيص . الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي .
القاهرة ١٩٢٢ م .
- ١٨ - تهذيب المقدمة اللغوية . الدكتور اسعد علي . بيروت ١٩٦٨ م .
- ١٩ - جامع البيان في تفسير القرآن . الطبري - القاهرة - .
- ٢٠ - جدلية الخفاء والتجلي . كمال ابو ديب . بيروت ١٩٧٩ م .
- ٢١ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - السيوطي - القاهرة
١٢٩٩ هـ .
- ٢٢ - الحيوان . الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة .
- ٢٣ - دائرة المعارف الاسلامية . (الطبعة العربية) .

- ٢٤ - دروس في البلاغة وتطورها . الدكتور جميل سعيد . بغداد ١٩٥١ م .
- ٢٥ - دلائل الاعجاز . عبدالقاهر الجرجاني . القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ٢٦ - الرسالة العذراء . ابراهيم بن المدبر . مطبوعة في رسائل
البلقاء لـ محمد كرد علي .
- ٢٧ - الشعر والشعراء . ابن قتيبة . تحقيق احمد محمد شاكر .
القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٨ - طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود شاكر . القاهرة ١٩٧٤ .
- ٢٩ - الطراز . يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٩١٤ .
- ٣٠ - عبدالقاهر الجرجاني - بلاغته ونقده - الدكتور احمد مطلوب .
بيروت ١٩٧٣ م .
- ٣١ - عروس الافراح . بهاء الدين السبكي . القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٣٢ - العمدة . ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين
عبدالحميد . القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٣٣ - عيون الاخبار . ابن قتيبة . القاهرة - دار الكتب .
- ٣٤ - فن القول . أمين الخولي . القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٣٥ - القزويني وشروح التلخيص . الدكتور احمد مطلوب .
بغداد ١٩٦٧ م .
- ٣٦ - كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري . القاهرة ١٩٥٢ م .
- ٣٧ - الكشف . جار الله الزمخشري . القاهرة ١٩٥٢ م .
- ٣٨ - لسان العرب . ابن منظور .

- ٢٩ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن لاثير .
القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٤٠ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٤١ - مجلة المقتطف - القاهرة .
- ٤٢ - مشكلة البنية . الدكتور زكريا ابراهيم . القاهرة .
- ٤٣ - مصطلحات بلاغية . الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٩٧٢ م .
- ٤٤ - المصون في الادب . أبو احمد العسكري . تحقيق عبدالسلام
هارون . الكويت ١٩٦٠ م .
- ٤٥ - معجم الادباء . ياقوت الحموي . طبعة مرغليوث . القاهرة ١٩٢٣ م .
- ٤٦ - مفتاح العلوم . السكاكي . القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٤٧ - المفردات في غريب القرآن . الراغب الاصفهاني . القاهرة ١٩٦١ م .
- ٤٨ - مقالات الاسلاميين . أبو الحسن الاشعري . تحقيق ريتز .
استانبول ١٩٢٩ م .
- ٤٩ - مقدمة ابن خلدون . بيروت .
- ٥٠ - مقدمة لدرس لغة العرب . عبدالله العلايلي . القاهرة .
- ٥١ - مناهج بلاغية . الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٩٧٣ م .
- ٥٢ - مناهج تجديد . امين الخولي . القاهرة ١٩٦١ م .
- ٥٣ - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع . أبو محمد القاسم
السجلماسي . تحقيق علال الفايزي . الرباط - المغرب ١٩٨٠ م .
- ٥٤ - الموشح . المرزباني . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٥٥ - نظرية البنائية في النقد الادبي . الدكتور صلاح فضل .
القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٥٦ - نقد الشعر . قدامة بن جعفر . القاهرة ١٩٦٣ م .

الموضوعات

٣	المقدمة
٥	النشأة
٥	البلاغة
١١	الاستدلال العقلي
١٢	الاستدلال النقلي
٢١	الاهداف
٢١	الهدف الديني
٢٣	الهدف التعليمي
٢٥	الهدف النقدي
٢٩	المؤثرات
٣٠	المفسرون والاصوليون
٣٧	اللغويون والنحاة
٤٠	الشعراء والكتاب
٤٩	الفلاسفة والمتكلمون
٢٣	

٥٥	الانتجاهات
٥٦	المدرسة الكلامية
٥٩	المدرسة الأدبية
٦٦	التقاء المدرستين
٦٩	موازنة بين المدرستين
٧٧	المنهاج
٧٧	المنهج القديم
٧٩	منهج الخولي
٨٤	منهج الشايب
٨٥	منهج العلايلي
٨٧	منهج أدور مرقص
٨٩	منهج المقدسي
٩٢	المنهج المقترح

صدر من الموسوعة الصغيرة

- ١.١ - الصراع الفكري عند الجاحظ تأليف د . الياس فرح
- ١.٢ - القنبلة الثيوترونية تأليف محمد عبداللطيف مطلب
- ١.٣ - لمحات من البطولة العربية في شعر الحرب تأليف غانم جواد رضا
- ١.٤ - الكحول وجسم الانسان تأليف د. أميرة عبدالستار البيروني
- ١.٥ - العربية تواجه العصر تأليف د . ابراهيم السامرائي
- ١.٦ - الوقود النووي تأليف د . نعمان النعيمي
- ١.٧ - افلام الرسوم المتحركة والدمى تأليف رضا الطيار
- ١.٨ - مدينة بغداد تأليف د. خالص الاشعب
- ١.٩ - مبيدات الحشرات تأليف د . جليل ابو الحب
- ١١٠ - الجاحظ تأليف د . وديعة طه النجم
- ١١١ - الجزري رائد الميكانيك التطبيقي العربي تأليف ماجد عبدالله الشمس
- ١١٢ - حروف الاضافة في الاساليب العربية تأليف يوسف نمر ذياب
- ١١٣ - الغذاء والتطور العلمي للتغذية تأليف محمد عبد السعدي وحميد مجيد العبيدي
- ١١٤ - الاشعاع في حياتنا تأليف عبدالرسول مهدي عبدة
- ١١٥ - شعر الحرب في عصر الرسالة تأليف د . د . نوري حمودي القيسي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
(١٣١٣) لسنة ١٩٨٢

دار الحرية للطباعة - بغداد
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

Little Encyclopedia
A Fortnightly Cultural
Series dealing with various
branches of Science, Art,
and Literature

Issued by Dar — Al-Jahidh
Al-Khulafä Street — Baghdad

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية نتناول

مختلف العلوم والفنون والآداب

تصدرها دار المجاهد للنشر

بغداد - شارع الخلفاء

رئيس التحرير: موسى كريدي

الكتاب القادم

الصناعات النفطية

في العراق

دراسة تحليلية في

اقتصاديات المكان

تأليف

د. محمد زهر عبد السلام

دار الحرية للطباعة - بغداد

السعر ١٠٠ فلس